مجلة " دار الحديث الحسنية " ـ السنة 1411 هـ - العدد 10

صورة الغلاف والفهرس غير متوفرين

الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال

(1331-1376هـ / 1912 - 1956 م) (1)

للدكتور ادريس خليفة

الأوضاع العامة للتعليم بتطوان

تأثر التعليم بهذه المدينة منذ اعلان الحماية وقبل ذلك بالاوضاع السياسية القائمة، ذلك أن حالة الاضطراب والتخلف التي عمت البلاد قبل الحماية انعكست آثارها على هذه المدينة فلم يكن التعليم بالمغرب ناميا مستوفيا لمختلف حاجات البلاد ومتطلباتها اقتصاديا واجتماعيا، ولم تكن هناك مدارس مغربية أصيلة تعني باخراج أجيال المتعلمين والمثقفين في فروع المعرفة المختلفة التقليدية والعصرية طبقا لما كان يستوجبه وضع المغرب في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، حينما أصبح مطمع الدول التي كانت تروم استعماره وتخطط لذلك بمختلف الوسائل الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية، وانعدام وجود العناصر المتعلمة والمثقفة التي كان يمكنها أن تحول المغرب إلى دولة عصرية قادرة على التعامل مع أحوال العصر ومواجهة مستجداته كان من عوامل سرعة سقوط هذا البلد في فخ الاستعمار الا... . فالتعليم الذي كان عندنا انما كان تعليما تقليديا، منحصرا بين جد... المساجد والزوايا، لا يتناول في الغالب الا مسائل الدين واللغة والتراث. وكان يقوم عليه شيوخ ياخذون بالطرق التقليدية في التعليم من حفظ ورواية وادمان على قراءة المتون العلمية وشرحها. ولم يكن هناك تقريبا تجديد في طرق التعليم ولا في أهدافه ولا في مواده ولا عناية لإعداد مدارس جديدة طبقا لمتطلبات العصر، وكان الناس ظنوا أن ما كان عليه السلف من العلم والتعليم قمين بحفظ البلاد والعباد ورد كيد العدو النصراني المتربص بها شرا ولعل مما زاد الوضع التعليمي سوءا أن الناس

ظنوا كذلك أن العلم لابد أن تكون له عاصمة واحدة هي فاس قاعدة المغرب في هذه الفترة، وأنه ليس من شأن المدن الاخرى مهما عظم شأنها أن تقوم على تخريج أفواج المتعلمين وإعدادهم للقيام بشؤون الدولة والأمة في أمور الدين والدنيا. ولهذا لم تكن المدن الأخرى قادرة على انشاء مراكز علمية قوية قادرة على منافسة حاضرة المغرب في هذا المجال، رغم توفرها من وقت لآخر على علماء أجلاء متخصصين ومبرزين في مجالات المعرفة التقليدية من عربية وفقه وحديث وتفسير.

وقد كان التعليم الأساسي بتطوان هو التعليم الديني، وكانت توجد بها مع ذلك قبل فرض الحماية بفترة زمنية قصيرة مدرستان عصريتان، هما مدرسة الاتحاد الاسرائيلي التي أنشئت عام 1862 م ومدرسة تابعة للقنصلية الاسبانية أنشئت عام 1908 م.

في نطاق التعليم الديني كان يوجد بها قبل الحماية شيوخ يقومون على التعليم في مساجد المدينة وزواياها، ويدرسون مختلف المواد العلمية التي كانت تلقن بالمغرب، وكانت الدرجات العلمية لهؤلاء الشيوخ متفاوتة، اذ كان من بينهم (المدررون) أي حفظة القرآن الذين يقومون على تعليمه، ومدرسو المرحلة الابتدائية، وكبار العلماء الذين كانوا ينهضون بالتعليم العالي ويتخرج على أيديهم القضاة والمفتون والمدرسون ومن هؤلاء الشيوخ الفقيه العلامة محمد بن علال عزيمان [1]، الفقيه العلامة محمد بن محمد الابار [2] والفقيه العلامة التهامي أفيلال الحسني [3] والفقيه العلامة محمد بن أحمد النجار الأنصاري [4]، والفقيه العلامة شيخ الجماعة بتطوان أحمد بن الطاهر الزواقي الجسني [5] وأخوه الفقيه العلامة الكاتب الاديب محمد الزواقي [6]، والفقيه العلامة المختار بن عبد الوهاب المدعو بابن القاضي [7] والشيخ العلامة محمد

---

(1) فقيه علامة كبير، تولى قضاء تطوان، ودرس وأفتى، توفي عام 1313 هـ (عمدة الراوي 6 : 117).

(2) محمد بن محمد الابار، قرأ بفاس وتطوان، واشتغل بالتجارة والتدريس، توفي بتطوان عام 1337 هـ (نفس المصدر 6 : 161).

(3) محمد التهامي بن محمد أفيلال الحسني، عالم كبير درس بتطوان، وزاول الفتوى والتدريس، فتولى مناصب ادارية وقضاء تطوان وعمالتها، توفي عام 1339 هـ (المصدر المذكور 4 : 196 ــ 201).

(4) عالم كبير ناسك، درس بفاس وتطوان وأفتى، واشتغل بالتدريس فدرس الفقه والحديث وزاول التجارة، توفي عام 1322 هـ (نفس المصدر 6 : 141 ــ 142).

(5) ستاتي ترجمته.

(6) ستاتي ترجمته.

(7) فقيه عالم مدرس من شيوخ العلامة أحمد الرهوني توفي بطنجة عام 1332 هـ (العمدة 6 : 180 و8 : 95).

بن أحمد البقالي [8]، والفقيه العلامة أبو العباس أحمد السلاوي [9]، والفقيه العلامة محمد بن العربي الصباغ [10] وغيرهم من الفقهاء، كانوا يقومون على التدريس بهذه المدينة لمختلف العلوم التقليدية كالنحو واللغة والفقه والحديث والتفسير والسيرة والتصوف ومن المؤلفات التي كانوا يقرئونها الاجرومية والالفية ولامية ابن المجراد ولامية الافعال والمرشد لابن عاشر والمختصر بشروحه والرسالة لابن أبي زيد والتحفة بشروحها ولامية الزقاق وصحيح البخاري وصحيح مسلم والموطأ وشمائل الترمذي والبردة والهمزية للبوصيري ومنظومة الشيخ الطيب بن كيران في الاستعارة، ولم يكن التعليم منظما في مسجد بعينه، بل كان مفرقا في المساجد والزوايا، اذ كان كل فقيه يختار لنفسه المكان الذي يعلم به، وغالبا ما يقع الاختيار على المكان القريب من دار الشيخ أو مكان عمله حتى لا يشق عليه أمر الانتقال إلى مكان بعيد، وربما يكون سبب هذا الوضع راجعا إلى أن الفقهاء والعلماء والمدرسين لم يكونوا ياخذون رواتب على قيامهم بهذه الوظيفة، وانما يعلمون احتسابا لله تعالى، عدا الزاوية الريسونية التي كانت لها أحباس تصرف منها أجورا للفقهاء الذين كانوا يدرسون بها، وفي هذا يقول الفقيه الرهوني : «ثم ان التدريس هنا مجاني، لا أجرة عليه ولا اعانة من حبس، رغما عن وجود عدة أحباس على التدريس، اندثر العمل بشرط محبسها، الا في الزاوية الريسونية فإن أحباس التدريس بها، خصوصا على الرسالة وصحيح البخاري، لازالت نافذة، نعم ! كانت نفذت بعض الاعانة على التدريس من أحباس أيام السلطان مولانا عبد العزيز وأخيه مولانا عبد الحفيظ ــ حفظ الله الجميع ــ وقدرها خمسة وسبعون ريالا مخزنية في العام لكل واحد من المدرسين الذين نفذ لهم ذلك، ثم تزاحم على ذلك مع قلة جدواه من ليست فيه أهلية، فتسبب في قطعها عن الجميع [11]».

وعندما احتل الاسبان تطوان عام 1331 هـ ــ 1913 م زاد الوضع من الناحية العلمية سوءا ذلك أن الناس خافوا على دينهم ودنياهم، وغشيهم الغم

---

(8) فقيه علامة من شيوخ أحمد الزواقي والرهوني كان مطلعا على علوم الفقه والحديث والتوقيت والحساب والهيأة والطب وغيرها، واشتغل بالتدريس والامامة والخطبة بجامع القصبة والافتاء تولى قضاء تطوان، توفي عام 1336 هـ (نفس المصدر 6 : 15 ــ 18).

(9) فقيه نحوي كبير لغوي أصولي أقرأ بجامع القرويين بفاس وبتطوان، توفي عام 1320 هـ (نفس المصدر 6 : 124 ــ 140).

(10) قرأ بفاس وتطوان، واشتغل بالعدالة والتدريس، وتوفي بالمدينة المنورة عام 1334 هـ (نفس المصدر 6 : 181).

(11) عمدة الراوين 1 : 189 ــ 190

والحزن، وهاجر عدد من سكان المدينة ومنهم عدد من العلماء إلى جهات أخرى كالشرق الاسلامي، وفي طليعة هؤلاء العلماء الفقيه محمد بن العربي الصباغ والعلامة أحمد الزواقي اللذان خرجا إلى الجزيرة العربية في السنوات التي كانت فيها المدينة مهددة بالاحتلال فرارا بدينهما من الفتنة، ولم يكن للناس بعد ذلك الخطب الجلل من هم الا مقاومة الاحتلال العسكري والتصدي لجيوشه الجرارة، ولما كانت تطوان هي قاعدة حكمه بالمغرب الشمالي ومقر حكم الخليفة النائب عن السلطان به، وكانت تتمتع ببعض الاستقرار النسبي، فإن الوضع التعليمي بها لم يلبث أن سار على النحو الذي كان عليه من قبل في إطار المدرسة التقليدية الاسلامية التي كان هدفها الأكبر الحفاظ على التراث الاسلامي الذي خلص اليها من الأجيال الماضية والعكوف عليه والتمسك بتعاليمه، وفي الوقت الذي كانت فيه المدينة تستعيد وعيها الذي فقدته عندما صدمت بالاحتلال، أخذت طائفة مستنيرة من رجالها تفكر فيما يجب عمله لانقاذ البلاد من النكبة التي حلت بها واسترجاع أمجادها والبحث عن خطة جديدة لمقاومة الاحتلال، موازية لخطة الدفاع المسلح الذي كان يضطلع به المجاهدون في الجبال بالشمال شرقا وغربا، وانبثق ذلك الفكر عن تصور خطة للمطالبة بإصلاحات اقتصادية واجتماعية وعلمية، ترفع من مستوى المواطن وتمكنه من ممارسة حقوقه الوطنية وتؤهله لغد أفضل، وفي طليعة هذه الطائفة من المفكرين الإصلاحيين كان يوجد الحاج عبد السلام بنونة الذي كان على صلة برجال الاصلاح والسلفية بالمغرب وكان له اطلاع على الأوضاع التي أدت إلى النهضة بأوربا وأسباب تفوقها المادي والتقني على الشرق، فعزم على نشر أفكاره الاصلاحية وتعميمها واقناع الحكومة الخليفية التي كان عضوا بها على تطبيقها ومن بينها انشاء مجمع علمي بتطوان واصلاح التعليم الديني والدعوة الى العناية بالمواد الدراسية العصرية كالتاريخ والجغرافية والحساب والهندسة واللغات الأجنبية وادخالها الى التعليم المغربي، وقدم الفقيه العلامة المؤرخ أبو العباس أحمد الرهوني طائفة من الاقتراحات العملية التي من شأنها النهوض بالتعليم الديني خاصة والتعليم بصفة عامة، وكانت اسبانيا في السنوات الأولى من الاحتلال تروم تهدئة المغاربة وتريد أن تعرف الوضع التعليمي على ما هو عليه، متظاهرة بالرغبة في الاصلاح حتى تستميل إليها الطبقة الواعية من علماء المدنية وفقهائها ووجهائها، فعينت حكومتها بتاريخ 9 يونيه 1914 م رجلين لدراسة أحوال التعليم بالمغرب، وتقديم تقرير عنه إلى الحكومة الاسبانية هما خليان طراخو julian tarrago أستاذ العربية بالجامعة المركزية، والفونصو

كويباس Alfonso Cuevas الأستاذ بالمدرسة العليا للتجارة بالينسيا (Valencia)، وقد حل هذان الأستاذان بتطوان وغيرها من مدن الشمال المغربي، وكانت الملاحظة التي أتى بها التقرير فيما يخص التعليم الاسلامي أنه غير منظم، يتتبع مناهج (روتينية) تقليدية، يقضي معها التلميذ وقتا طويلا، يتخرج بعدها منها دون الحصول على المعرفة اللازمة [12]. ونقل التقرير الاقتراحات التي عبر عنها الفقيه الرهوني، وتتلخص في النقط الآتية :

1. تنظيم تعليم اسلامي خالص لتلقين مواد اللغة العربية والفقه والحديث والعقيدة والتفسير بالجامع الكبير بتطوان.

2. انشاء مركز علمي مختلط، يتكون من الاساتذة المسلمين والمسيحيين، حيث يتمكن المسلمون من تلقي العلوم الحديثة غير الدينية : علوم الفيزياء والطبيعة والرياضيات واللغة الأجنبية والادب الاسباني وتاريخ اسبانيا وغيرها.

3. انشاء مدارس ثانوية في مختلف مدن المنطقة لاعداد التلاميذ للدخول الى التعليم العالي.

ومن الضروري أن ينفق على هذه المدارس من مداخيل الاوقاف التي تكفي في مجال الانفاق عليها، كما تؤكده السلطة الاسبانية التي أخبرت كاتبي التقرير برأيها في هذا الموضوع ويذكر التقرير أنه لا يوجد بتطوان تعليم اسباني غير الذي يشرف عليه الآباء الفرنسسكيون وغير مدرسة القنصلية الاسبانية، فأما مدرسة الآباء فهي صغيرة، لا تزيد مساحتها على ثلاثين مترا مربعا، وتشتمل على منزلين لتعليم الأطفال الذكور والبنات، ولا يعطى فيها الا تعليم جد أولي، وأما مدرسة القنصلية الاسبانية فان المكان الذي كانت توجد به صغير جدا ولم يكن ينتسب اليها غير خمسة عشر تلميذا، وقد حاول المشرفون عليها اجتذاب المغاربة اليها، فأسندوا الى أحد الفقهاء مهمة تعليم القرآن والقراءة والكتابة، ويذكر التقرير أن أحسن مدرسة بالمدينة هي المدرسة اليهودية : مدرسة الاتحاد الاسرائيلي وان كانت هذه المدرسة ذات اتجاه فرنسي، لغة ومنهجا.

---

(12) la accion cultural de Espana en Marruecos : 77

ولقد تمخضت الدعوة الاصلاحية التي نادى بها المفكرون في تلكم الفترة عن تأسيس «المجمع العلمي المغربي» الذي رأى النور يوم 30 من ديسمبر 1916 م، عقب اجتماع انعقد بمقر المجلس البلدي بتطوان بحضور مائة من المغاربة المسلمين، وسبعة من الاسبان من أجل انتخاب أعضاء المجمع الذي تألف على هذا النحو :

الرئيس : الحاج أحمد الطريس باشا تطوان

النائب : أحمد الرهوني وزير العدل

الامين : علي السلاوي، مدير الاملاك الحبسية

ومن الأعضاء المغاربة البارزين الذين تألف منهم المجمع : عبد السلام بنونة محتسب تطوان، وأحمد الغنيمة كاتب الصدارة العظمى، ومحمد المرير كاتب وزارة العدل، ومحمد أفيلال كاتب بنفس الوزارة، ومحمد الزواق كاتب الصدارة العظمى، وأحمد غيلان كاتب بالمالية، والعلامة، أحمد الزواق والعلامة محمد من الابار والعلامة محمد المؤذن (13).

وكان من أهم الأعمال التي قام بها المجمع اصدار أول جريدة في عهد الحماية ناطقة بالعربية هي جريدة «الاصلاح» التي ظهر أول عدد منها يوم الاثنين 17 يناير 1917 م، واستصدار ظهير 17 ربيع الأول 1336 هـ موافق يناير 1918 م بشأن تنظيم التعليم الديني العالي بالجامع الكبير بتطوان، وصدر في يوم 25 ماي من نفس السنة قرار وزيري يعين الأساتذة الذين أسند اليهم ذلك التعليم ويحدد درجاتهم ومرتباتهم (14)، فالأساتذة من الدرجة الأولى هم على الترتيب : أحمد الزواق ومحمد بن الابار ومحمد المؤذن، ورواتبهم مائة بسيطة شهريا، والاساتذة من الدرجة الثانية هم : محمد الزواق ومحمد أفيلال ومحمد المرير، ورواتبهم خمسة وسبعون بسيطة شهريا، والاساتذة من الدرجة الثالثة هم : الحسن أفيلال والمهدي الموفق وعبد الرحمن أقشار، ورواتبهم خمسون بسيطة شهريا (15).

---

(13) Ibid 23 — 124

(14) الجريدة الرسمية عدد 6 صفحة 236 — 240

— الحاج عبد السلام بنونة 1 : 178

— البدايات الاولى للحركة الثقافية : 38

— la accion cultural de Espana en Marruecos 124 — 125

(15) la accion cultural de Espana en Marruecos 338

ومن المشاريع العلمية التي دعا إليها المجمع وعمل على انجازها بتطوان العمل على تأسيس مدرسة للصناعة التقليدية، وقد وافقت الاقامة العامة على المشروع، وخصص له مبلغ من ميزانية المخزن قدره 36.250 بسيطة، وقد تم تدشين هذه المدرسة في مقرها الأول بشارع الطرافين بتاريخ 30 غشت 1919 م [16].

ولم تكن للتعليم الاسلامي الديني ادارة تعمل على تنظيمه وتوجيهه ومراقبته، ثم ظهرت الحاجة الى أن يكون هناك من يشرف عليه من الناحية الادارية، فأحدثت بمقتضى ظهير 21 رجب 1353 هـ — 21 اكتوبر 1934 م مفتشية للتعليم الاسلامي وكان من المنتظر أن يعين مفتش لذلك التعليم، لكن ظروف الحرب المغربية الاسبانية والاوضاع غير المستقرة باسبانيا أدى الى إرجاء البث في هذا الموضوع الى عام 1936 م حينما عين الفقيه الرهوني أول مفتش لهذا التعليم [17].

وفي نطاق الأعمال الهادفة إلى الاستفادة من العلوم العصرية في المجال التعليمي أسس المجمع العلمي مدرسة لتعليم اللغة العربية والإسبانية والرياضيات ومسك الدفاتر، وأسندت ادارة هذه المدرسة الى الحاج عبد السلام بنونة الذي لم يكتف بالقيام بأعمال الادارة، وانما كان يدرس الرياضيات ومسك الدفاتر للطلبة الذين كانوا يتلقون دروسهم بالجامع الكبير [18]. وكان الأستاذ المؤرخ التهامي الوزاني من الطلبة الذين درسوا الحساب وربما الاسبانية وغيرها من المواد على بنونة في تلك المدرسة، وقد اعترضت طريق بنونة صعوبات، منها انتقادات وجهها اليه الفقيه محمد المؤذن الذي انصرف الطلبة عن دروس النحو التي كان يلقيها عليهم يوميا بعد صلاة العصر الى درس بنونة في الحساب، فجرت بين الرجلين مناظرات في الموضوع، كان الفقيه المؤذن يصرح فيها بتفاهة الحساب وقلة جدواه، وسرى الخلاف بينهما [illegible] شأن الحساب الى الاوساط الادبية، فأخذ بنونة يطالع المراجع الفقهية، فوجد فيها ما أرشده إلى أن الحساب من العلوم الواجبة وجوبا كفائيا فطار بها فرحا وتغلب بها على معارضه، وانتقل الجدل من هذه النقطة إلى أن هؤلاء الطلبة ظهرت نجابتهم في

---

(16) الحاج عبد السلام بنونة 1 : 180

(17) la accion cultural de Espana en Marruecos ; 102

(18) الحاج عبد السلام بنونة 1 : 174

النحو فأصبح عليهم واجبا وجوبا عينيا، ولا ينصرف عن الواجب العيني إلى الوجوب الكفائي... ![19].

وهكذا كان الخصام في موضوع كانت الضرورة تقتضي ألا يكون حوله نزاع، وكان المآل الذي صار إليه أمر المسلمين والدولة الاسلامية من الانهيار كافيا لمنع أي خصام يقع بشأنه وجدواه وضرورة تعلمه، وتعلم وتعليم غيره من المواد العلمية.

وعندما أوشكت حركة المقاومة المسلحة بالشمال على الانتهاء في أواخر العقد الثالث من القرن العشرين الميلادي كانت الحركة الوطنية المغربية بدأت تنظم صفوفها وتستعد للمقاومة السياسية لمواجهة الاستعمار بأسلوب جديد من الاحتجاج وتقديم المطالب الاصلاحية ومعالجة الأوضاع العامة بما يكفل رقي الشعب المغربي وتقدمه في الميادين الاجتماعية والعلمية والثقافية والسياسية. وكانت تطوان من المراكز المهمة في هذه الحركة، اذ كانت حاضرة في أول لقاء عقده الشبان الوطنيون بالرباط عام 1345 هـ ـــ 1926 م لتكوين أول جمعية سرية مغربية بالجنوب، وقد مثلها في ذلك الاجتماع الحاج عبد السلام بنونة ويذكر بعض الكتاب أن الفقيه محمد دواد حضر ذلك الاجتماع أيضا [20] وتأسست في نفس العام بتطوان الكتلة الوطنية الشمالية بزعامة بنونة.

وقد اهتم الوطنيون بتطوان بقضية التعليم، وجعلوا اصلاحه والنهوض من أوجب الواجبات، ولما كان التعليم الرسمي العربي لا يستجيب للأهداف التي رسمتها الحركة الوطنية لنفسها، ولا يستوعب الطاقات الشابة التي هي في سن التمدرس، فان الوطنيين سعوا إلى انشاء مدارس حرة يتخرج منها الشبان الوطنيون الذين يمتلئون غيرة وحماسا وحبا لوطنهم وكانت أول مدرسة حرة أنشئت لهذه الغاية هي المدرسة الأهلية التي أسسها الفقيه محمد دواد والحاج عبد السلام بنونة عام 1344 هـ ـــ 1925 م. وقد تخرج من هذه المدرسة عدد من رجال الحركة الوطنية كالأستاذ عبد الخالق الطريس والطيب بنونة ومحمد عزيمان، وكانت فاس لا تزال الى هذا الوقت مقصدا للطلاب التطوانيين الذين كانوا يريدون اتمام تعليمهم العالي في القرويين، وكان أكثرهم يرجع منها معجبا بالحركة السلفية التي كانت تعمها في هذه الفترة، وينشط لنشر تعاليم هذه

---

(19) جريدة الريف، العدد 202، عام 1361 هـ ـــ 1942

(20) political change in Morocco : 46

الحركة واقناع الجمهور بها، وقد حدث الأستاذ التهامي الوزاني الذي زار فاسا عام 1928 م، وكان يومها صبيا، أنه لما زارها كان لايهمه من الدنيا الا حياة التصوف وتفقد بعض الاخوان الطلبة، فوجد بها عددا من الطلبة التطوانيين يصلون الى الثلاثين، وكانوا على صلة وثيقة بالشابين الزعيمين علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني [21]، ومن الشبان التطوانيين الذين رحلوا في هذه الفترة للدراسة بها عبد الخالق الطريس والطيب بنونة ومحمد بن مصطفى أفيلال ومحمد الطنجي ومحمد عزيمان [22].

ولم يكتف الشبان الوطنيون المتحمسون في هذه الفترة بالبحث عن مراكز تعليمية داخلية، وانما تاقت همتهم إلى اتمام دراستهم العليا بالخارج، ووجدوا ضالتهم في الشرق العربي الذي اشتهر بجامعاته وبحركة النهضة التي تعمه، وهكذا توجهت بعثتان إلى مدرسة نابلس الاولى عام 1928 وكانت تتكون من تلميذين هما الطيب بن الحاج عبد السلام بنونة ومحمد ابن مصطفى أفيلال وكانت البعثة الثانية عام 1930 [23]، وتوجهت إلى مصر بعثات أخرى كان من بين أفرادها الشاب عبد الخالق الطريس ومحمد الطنجي والعربي بنونة ومحمد المكي الناصري [24]، وكانت رحلة الطريس إليها عام 1928 م حيث التحق بالجامعة المصرية ليدرس الآداب والفلسفة على كبار أساتذتها كالدكتور طه حسين وغيره، وذلك قبل التحاقه بباريس لاتمام دراسته بها [25].

وقد لفت اتجاه الشبان الوطنيين بتطوان الى الشرق والى الجنوب المغربي للدراسة نظر السلطة الاسبانية الحاكمة التي كانت تخشى من التطورات الفكرية والاجتماعية التي كان يمكن أن تحدثها هذه الاتصالات ومن الآثار التي تكون لها على موقف الوطنيين والشبان خاصة من الحماية الاسبانية ونظامها الذي تمكن في السنوات الأخيرة بالذات من اخماد حركة المقاومة في جبال الريف، ولذلك استدعى الاسبان الحاج عبد السلام بنونة يشرح لهم الاسباب التي دعت الطلبة المغاربة الى الاتجاه نحو الشرق للدراسة به، ويبين الاسس التي

(21) جريدة الريف العدد 220، عام 1359 هـ — 1940 م
(22) البدايات الاولى للحركة الثقافية : 41 — 42
(23) المغرب الأقصى : 187
— (عمل الحاج عبد السلام بنونة في الميدانين الثقافي والاجتماعي) مجلة الايمان 95 صفحة 32.
(24) المرجع الأخير، نفس المجلة صفحة 32 — 33
(25) الأستاذ الطريس : 28.

تصلح في نظره لاقامة نظام تعليمي داخلي يستجيب للمطامح المغربية، فكتب بنونة تقريرا في الموضوع، سلمه الى النائب العام للاقامة الاسبانية أكيلار في فاتح غشت 1930 م [26] وقد اقترح التقرير العناية بالكتاتيب القرآنية بناء وانارة ونظافة، وأن يعمل على تجنب الازدحام الذي يلاحظ فيها حيث ان الاطفال بها يجلسون على الارض ملتصقين بعضهم ببعض، وأن يكون التعليم الاولي اجباريا من ست سنوات الى اثنتي عشرة سنة، وأن يقع تغيير في نظام دراستها، ليتمكن التلميذ من تلقي مواد أولية نافعة بالعربية، وأن يلقن مع ذلك اللغة الاسبانية، وأطلق بنونة على هذه المدارس المدارس التمهيدية، ودعا إلى أن يكون التعليم مجانيا للفقراء، وإلى تحويل الحبس الذي كان لفائدة الابراج بتطوان لتستفيد منه المدارس المذكورة، وتحدث عن العطل السنوية ووجوب تنظيمها وفقا لبرنامج محدد، ثم تكلم بتفصيل عن المواد التي ستدرس في هذه المدارس التمهيدية لمدة ست سنوات وعلى عدد الحصص، ثم انتقل بعد هذا للكلام على المدارس الابتدائية التي سيدخلها التلميذ الذي أنهى مراحل المدرسة التمهيدية بنجاح، ولاحظ أن المدرسة الابتدائية في ذلك الوقت انما هي مدرسة اسبانية عربية، ولا يوجد منها الا ما هو للحكومة، وأن هذه المدرسة هي التي ستهيىء التلميذ للدراسة الثانوية، ثم للالتحاق بالكلية الاسلامية، ودعا الى أن تكون الدراسة في النصف الأول من النهار بالعربية، وتكون الدراسة في النصف الثاني بالاسبانية، ويذكر التقرير أن هذه المدارس الابتدائية كانت مدة الدراسة فيها لا تزيد على ثلاث سنوات ويدعو الى عدم استعمال الكتب الاسبانية في المدارس الابتدائية، لأنها كانت تحمل أفكارا وقواعد دينية مسيحية لا يقبلها المسلمون وإلى ضرورة استبدالها بكتب تتفق مع العقيدة الاسلامية ومنهجها في الحياة، ثم يتكلم على الدراسة الثانوية التي ستأخذ من عمر التلميذ المغربي أربع أو ست سنوات حسب رغبته، يدرس فيها إلى جانب التلميذ الاسباني العلوم والفنون التي لا علاقة لها بالاديان، ويصبح بعدها مؤهلا للالتحاق بالتعليم العالي في شبه الجزيرة الايبيرية، ويذهب إلى ضرورة العناية بالمدارس الثانوية بمادتي الادب العربي والادب الاسباني وربط ذلك بالترجمة الى اللغتين حتى يتمكن التلميذ من البراعة في فن الانشاء ويتحدث التقرير عن التعليم في الكلية الاسلامية ويعين كتب الفقه واللغة والتفسير والحديث التي ينبغي أن تكون معتمدة، ومن الكتب الجديدة التي ينبغي الدراسة بها كتاب «الأحكام» لابن

(26) صفحات من تاريخ الحركة الوطنية (عمل الحاج عبد السلام بنونة في الميدانين الثقافي والاجتماعي) : 33.

العربي «وتاريخ الأدب العربي» للزيات ومقدمة ابن خلدون «ورسالة التوحيد» للشيخ محمد عبده و«الموافقات» للشاطبي و«وزاد المعاد» لابن القيم و«الاستقصا» للناصري «ورسالة المارديني في الربع المجيب»، وأبي الصفار في «الاسطرلاب» (27).

وما من شك في أن هذا التقرير عالج الوضع التعليمي في الشمال علاجا شاملا وأوضح المشاكل القائمة، وجاء ببرنامج مفصل، قابل للتطوير، ومستجيب للرغبات الوطنية التي كان بنونة من أحسن المعبرين عنها، وعلى الرغم من أن الاسبان لم يستجيبوا لهذه المطالب، فان تسجيلها كان من الاسباب التي أدت الى تطور التعليم المغربي وتطويره كما وكيفا حينما سمحت الظروف بذلك.

وعندما أعلن النظام الجمهوري في اسبانيا يوم 14 أبريل 1931 م ظن الوطنيون بالشمال أن الفرصة حانت لتقديم مطالب مغربية جديدة للسلطة الجمهورية في مدريد، وكان من بين تلك المطالب بند يتعلق بالتعليم واصلاحه، نص على ضرورة (الاهتمام بالتعليم على اختلاف طبقاته وجعل هذا التعليم على أساس اللغة العربية واللغة الاسبانية وارسال البعثات الى الخارج) (28). لكن الجمهوريين لم يستجيبو للمطالب المغربية، وسلكوا نهجا آخر مناقضا تماما لما كان يطلب منهم فشجعوا هجرة اليهود إلى منطقة الشمال، وقدموا لهم مساعدات وتسهيلات مغرية، وضايقوا الوطنيين المسلمين وقيدوا الحريات، ودعوا الى فرض تعليم الاسبانية على الاطفال المغاربة، وشجعوا السياسة البربرية التي دعا اليها الفرنسيون، وحشدوا قوات الشرطة لمضايقة المواطنين في المدن والقرى، وهذا ما جعل الوضع يتسم بالتوتر، وجعل المساعي الهادفة الى اصلاح التعليم والنهوض به تتعثر بالرغم من بعض الاصلاحات الشكلية والجهود الخاصة التي بذلت في هذا المجال وبقي الوضع على هذا النحو حتى قامت الحركة الوطنية الاسبانية الفاشستية بزعامة فرانكو. فتغيرت الأحوال التعليمية بعض التغيير على نحو ما سنقصه.

ففي هذه الفترة (عام 1932 م) أسس الاستاذ الطريس جمعية الطالب المغربية، وهه جمعية ثقافية كان الهدف منها تنسيق العمل الطلابي وبعث

(27) انظر التقرير في كتاب صفحات من تاريخ الحركة الوطنية : 66 ــ 67

(28) مجلة السلام 2 : 19.

نشاط ثقافي وعلمي يستفيد منه الطلاب المغاربة وتشجيع روح الابداع والابتكار عندهم، ونشر الثقافة الوطنية في صفوفهم، وكانت وسائلها إلى ذلك المحاضرات والخطب والحفلات الثقافية التي يدعى اليها كبار الأساتذة والمثقفين، وفي عام 1933 أسس الاستاذ محمد بن علال الخطيب مدرسة خيرية للبنات، كانت النواة الاولى للاعمال الخيرية الهادفة للعناية بالفتاة المغربية وانقاذها من براثين الجهل والخرافة والبطالة والاهمال، وشهدت هذه السنوات بداية العمل الصحفي المغربي الوطني عندما أصدر الاستاذ المؤرخ محمد دواد مجلة السلام عام 1933 م وعندما أصدر الاستاذ الطريس جريدة الحياة عام 1934 م وكانت لسان الكتلة الوطنية بشمال المغرب، وفي عام 1353 هـ 1934 م صدر ظهير بتأسيس مجلس أعلى للتعليم الاسلامي، وهو مؤسسة حكومية كانت تتألف من وزير العدلية رئيسا وشيخ العلوم بصفة نائب ومدير الاحباس وثلاثة من الاعضاء المسلمين المشتهرين بكفاءتهم، ينتخبون كل أربع سنوات كما يمكن تعيين أعضاء آخرين اضافيين، وتألف المجلس الاول على النحو الآتي :

— محمد أفيلال (رئيسا)
— محمد المرير (نائبا)
— عبد الخالق الطريس (نائبا للاحباس)
— المهدي الموفق (خليفة قاضي تطوان)
— الحسن أفيلال (أستاذ)
— محمد داود (تاجر)
— ووقع الاختيار على الاستاذ العربي اللوه لمنصب الكتابة (29).

وانحصرت الغاية من انشاء المجلس في هذه النقط :

— تقديم اقتراحات استشارية للمخزن حول نظام التعليم ومواد التدريس.
— تفتيش الاساتذة ومراقبة عملهم في المدارس الرسمية وتوجيه من لا يعمل منهم في الميدان الرسمي فيما يتعلق بخطط التدريس.
— تحديد الاوقات ومراقبة النظافة بالمدارس
— اقتراح من يصلح لمنصب شيخ العلوم واقتراح الاساتذة ومديري المدارس.

(29) la accion cultural de Espana en Marruecos : 125 — 126

ـــ تقديم مقترحات تتعلق بالمدارس المغربية فيما يخص الميزانية وما ينوب الحبس منها.

وقد غيرت بنود الظهير المذكور ببنود أخرى فيما بعد، لكن المهمة الاساسية للمجلس وهي مراقبة التعليم وتقديم مقترحات وآراء حول تنظيمه لم تتغير، أما فيما يتعلق بعضويته فيمكننا أن نلاحظ أن عددا من الشخصيات العلمية المغربية شاركت فيه، وأذكر منهم الفقيه أحمد الرهوني والفقيه أحمد الحداد الذي عين بعد هذا صدرا أعظما والاساتذة محمد عزيمان والطيب بنونة ومحمد اللبادي قاضي تطوان ومحمد الزكاري وعبد الله كنون والتهامي الوزاني والدكتور محمد تقي الدين الهلالي، وكانت مشاركة هذه الشخصيات في أعماله ما بين عامي 1935 إلى 1951 [30].

وفي عام 1935 م أسس الاستاذ الطريس مؤسسة المعهد الحر للتعليم الثانوي، وكان الوطنيون بزعامته دعوا الى الاكتتاب الشعبي لانشائه فكان من المؤسسات التعليمية الوطنية التي عنيت بتكوين التلاميذ المغاربة الذين حرموا من تعليم عصري مناسب على مستوى التعليم الثانوي والذين كانوا يطمحون إلى مواصلة تعليمهم العالي والحصول على ثقافة عصرية موازية للثقافة التي يتلقاها التلاميذ في التعليم العصري الثانوي.

وعندما أعلن الوطنيون الاسبان انقلابهم اليميني على حكومة مدريد من مناطق شمال المغرب بزعامة الجنرال فرانكو بتاريخ يونيه 1936 م وشعر المنقلبون بأهمية العنصر المغربي المحارب، بذلوا جهودهم لكسب عطف المغاربة واجتلاب المرتزقة منهم للانخراط في صفوفهم، ولهذا أعطوا وعودا باستقلال المغرب ومنح المغاربة كل الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بمجرد الانتهاء من الحرب الاسبانية وقد تظاهر زعماء الحركة الوطنية بشمال المغرب بتصديق الوعود الاسبانية الجديدة وعملوا على الاستفادة منها في جميع المجالات، وخاصة في المجال السياسي والتعليمي فعاشت المنطقة فترة من الزمن تنعم بحرية التعبير وبشيء من الرخاء الذي لم تكن اسبانيا نفسها تنعم به [31]، وحصل الوطنيون على مناصب في الحكومة الخليفية، وظنوا أنهم بامكانهم التأثير على مجرى الاحداث، والاستفادة من الموقع الرسمي لتطوير

---

(30) Ibid : 127 — 131

(31) political change in Marocco 48 — 49

مؤسستي التعليم والأحباس، فالاستاذ الطريس عين عام 1937 م وزيرا للأحباس، والأستاذ محمد دواد عين في نفس العام مفتشا للتعليم الاسلامي، وعين الشيخ محمد المكي الناصري مديرا لمعهد مولاي الحسن للأبحاث في العام المذكور كذلك، ثم عين عام 1939 م مديرا عاما لمعهد مولاي المهدي، ثم ما لبث الوطنيون المغاربة أن تيقنوا بأن اسبانيا الجديدة لا رغبة لها في الوفاء بعهودها وتطبيقها بعد انتصار الحركة الانقلابية واستغنائها عن مرتزقة المغاربة العاملين في صفوفها، وما لبثت الدولة المستعمرة أن عادت إلى ما كانت عليه من قمع الحريات بالمغرب والتضييق على المواطنين وعدم تشجيع النمو الثقافي الا في حدود مرسومة ولم تتراجع اسبانيا عن هذا الموقف المتنكر الا في بداية الخمسينات عندما أراد قادتها إرساء قواعد للتعاون مع العالم العربي لكسر طوق الحصار الاوربي الذي كان مفروضا عليها. فكان الشرط الذي اشترطه العرب وجامعة الدول العربية أن تمنح الاستقلال للمغرب وتعمل على تطوير الاوضاع بشماله من النواحي السياسية والثقافية والاجتماعية.

وسنرى أنه في ظل هذا الوضع الجديد منذ قيام الحركة الوطنية الاسبانية تغيرت الاوضاع التعليمية بالشمال بعض التغير كما ونوعا إلى أن تحقق استقلال المغرب عام 1956 م.

ولعل أهم ما تحقق على الساحة الثقافية في بداية هذه الفترة تمتع الصحافة الوطنية بتطوان بحرية كبيرة في التعبير عن الاماني والمطامح القومية، وتجديد الاوضاع الاجتماعية القائمة، وكانت لذلك بمثابة مدرسة مفتوحة للعموم تربي وتصلح وتقوم وتوجه ومن أهم ما انجز كذلك تأسيس معهد مولاي المهدي عام 1939 م الذي تولى ادارته الشيخ محمد المكي الناصري وهو من كبار رجال التربية والتعليم في بلادنا، وكان الخليفة المولى الحسن بن المهدي يرعى ذلك المعهد ويقدم له جميع أنواع المساعدات ويذلل كل الصعوبات التي كانت تعترض طريقه حتى تخرج منه عشرات الطلاب النجباء الاوفياء، وكان من نتائج النجاح الذي حصل عليه معهد مولاي الحسن موافقة الحكومة على فتح بيت المغرب بالقاهرة ذلك البيت الذي أعد في عاصمة الكنانة ليكون مركزا للدراسات العربية والمغربية ومركزا للاتصالات المغربية العربية وسكنى أربعين طالبا مغربيا ممنوحين لمتابعة دراستهم في مختلف كليات القاهرة وبعدما أنهى عدد من هؤلاء الشبان دراستهم هناك بنجاح عادوا إلى شمال المغرب وإلى تطوان العاصمة بصفة خاصة ليقوموا بمهام تربوية وتعليمية وصحافية كان لها أبلغ الاثر

في تطور بلدهم ثقافيا واجتماعيا وسياسيا، وقد ذكر الكاتب اللبناني أمين الريحاني الذي زار تطوان في هذه الفترة أن معهد مولاي المهدي أو المعهد الخليفي كان «يضم مائة طالب من المدينة وستين من الخارج، يسكنون ويطعمون ويعلمون مجانا، رئيسه الاستاذ المكي الناصري، المثقف ثقافة عالية في مختلف المعاهد العلمية بمصر وفرنسا واسبانيا، وبرنامجه يشتمل على شعب ثلاث هي التاريخ والجغرافية واللغة العربية والعلوم الطبيعية والرياضية، وللمعهد مكتبة تدعى (بيت الحكمة) ومكتب للتبادل الثقافي».

وتميزت الحركة العلمية والثقافية بتطوان لهذه الفترة بوجود عدد من الاساتذة الشرقيين الذين جلبتهم الحكومة الخليفية للعمل بالمغرب، والذين عملوا في قطاعين حيويين : قطاع الصحافة وقطاع التعليم، وكان منهم مترجمون يتقنون الاسبانية، فكانوا بسبب ذلك من عوامل التقارب بين الثقافتين الاسبانية والعربية ومن أسباب التفاهم الاسباني المغربي، فمن اللبنانيين الذين عملوا بشمال المغرب في هذا النطاق الاساتذة : 1. ألفريد البستاني 2. أنطوان عيد البستاني 3. موسى عبود 4. نجيب ملهم 5. حسن عسيران ويمكن أن نضيف اليهم الاستاذ حبيب سعادة الذي كان هو والشيخ محمد المكي الناصري من رواد التعاون والتعارف بين المغرب والمشرق العربي لجلب أولئك الاساتذة الى المغرب [32].

ومن الاساتذة المصريين الذين جاؤوا من مصر بواسطة الشيخ محمد المكي الناصري لنفس الغاية : 1. حسين الابياري 2. عبد الجليل خليفة 3. حافظ متولي 4. يونس مهران 5. حسين أمين 6. محمد وهبي [33].

واستدعت ضرورة التنسيق بين فروع التعليم المغربي ومؤسساته انشاء مؤسسة أطلق عليها اسم مديرية التعليم المغربي التي كانت تحت رقابة نيابة الامور الوطنية ــ التي هي ادارة اسبانية تابعة للاقامة العامة بتطوان ــ بواسطة ادارة مراقبة التعليم المغربي، وقد عين الحاج سي اللوه البقيوي أول مدير لذلك التعليم بتاريخ يونيه 1938.

---

(32) المغرب الأقصى : 187 ـــ 188

(33) ... 187.

ونص القانون المنظم للمديرية على أنها تتولى الاشراف على المجلس الاعلى للتعليم الاسلامي ومفتشية التعليم الاسلامي ومجلس العمادة أو مشيخة العلوم، كما نص على أن من مهام المديرية :

ــ تكليف المجلس الأعلى للتعليم الاسلامي للقيام بدراسات وأبحاث يدرسها المجلس في جلساته الاسبوعية، وفي الجلسات الاستثنائية التي قد يعقدها بطلب من نصف أعضائه أو بطلب من رئيسه.

ــ ويمكن للمجلس تقديم اقتراحات الى المديرية دون طلب منها في شؤون تعليمية كإدخال اصلاحات أو برامج أو نصوص أو تغييرات في الميزانية وخلق مراكز تعليمية وكل ما له علاقة بالتعليم.

وذكر هذا القانون كذلك أن من المهام الملقاة على عاتق مفتشية التعليم البحث عن كتب النصوص التي سيعتمد عليها في تعليم مختلف المواد الدراسية (34).

وقد عين الاستاذ محمد داود مديرا عاما للتعليم المغربي بتاريخ 1361 هـ ــ 1942 م وظل يشغل ذلك المنصب الى عام 1367 هـ 1948 م حينما استعفي منه (محافظة على كرامته الوطنية والشخصية)(35).

وكانت قضية الكتب التي تعتمد في التعليمين الابتدائي والثانوي من أعقد المشاكل التي واجهت التعليم المغربي، اذ لم تكن هناك مؤلفات مغربية مناسبة للتعليم العصري، سواء بالعربية أو بالاسبانية، وقد اعتمدت المدرسة المغربية أول الامر نصوص الكتب المطبوعة في مصر، وقد جلب عدد منها الى المنطقة عام 1937 م بواسطة الاستاذ المؤرخ محمد دواد، وجلبت مجموعة أخرى عام 1945 م بواسطة الاستاذ محمد بن عبد السلام ابن عبود، وجلبت مجموعتان أخريان في عام 1951 م و1954 بواسطة الاستاذ محمد عزيمان، وقد لاحظ المهتمون بالتعليم في هذه الفترة أن هذه الكتب لا تلائم البيئة المغربية، إذ كانت مؤلفة للمجتمع العربي الشرقي، وكانت نصوصها تشير إلى أحداث وأماكن شرقية غريبة عن التلميذ المغربي وتقاليده العائلية والاجتماعية، في حين كانت نصوص الكتب الاسبانية مؤلفة لتلاميذ إسبان، استقرت في أذهانهم معاني الكلمات الاسبانية ومدلولاتها التي كان التلميذ المغربي لا يدرك منها

(34) la accion cultural de Espana en Marruecos 105 — 106

(35) تاريخ تطوان 3 : د ــ آخر الجزء

شيئا، اذ كانت تللاك الكلمات تصل الى ذهنه لأول مرة، كما أنها كانت تحمل أفكارا مسيحية لا يقبلها المسلمون ولا يستسيغها التلميذ المسلم، وهي مع ذلك مؤلفة لمجتمع مباين المجتمع المغربي في تقاليده وعاداته وأوضاعه، ولذلك كان من الضروري ايجاد الكتاب المغربي المناسب للبيئة والعادات والتقاليد [36].

واستجابة لهذه الحاجة أخرجت المطبعة بتطوان عددا من الكتب خلال هذه الفترة التي أخذ فيها التعليم بتطور لصالح التلميذ المغربي، ومن الكتب التي ألفت لهذه الغاية بالعربية :

أ. **كتب العقيدة والفقه :**

1. الغنيمة الكبرى بشرح مقدمة السنوسي الصغرى، للفقيه أحمد الرهوني ط تطوان 1354 هـ.
2. هداية المسترشد لفهم نظم المرشد، شرح على مرشد ابن عاشر في فقه العقائد والعبادات، له أيضا ط تطوان.
3. محاذي الزقاقية، دروس متوسطة في التشريع الاسلامي المغربي للاستاذ عبد الله كنون ط تطوان.
4. الدين الاسلامي، للاستاذ محمد ابن عبود ط تطوان 1939.
5. الدين، للاستاذ ابراهيم الالغي.
6. الاسلام، له أيضا
7. الاسلام، للاستاذ محمد الجباري

ب. **السيرة النبوية وتاريخ الاسلام :**

1. تحفة الاخوان في سيرة سيد الاكوان، للفقيه الرهوني ط تطوان.
2. السيرة النبوية، تأليف محمد الكبداني ط تطوان 1950.

---

(36) la accion cultural de Espana en Marruecos603 — 605

3. تاريخ الاسلام، لنفس المؤلف ط تطوان 1952.
4. السيرة النبوية، تأليف محمد ابن عزوز حكيم ط تطوان 1949.
5. تاريخ الاسلام والمغرب لمحمد ابن عبود ط تطوان 1939 م.

جـ. كتب النحو :

1. تقريب الفهوم لمقدمة ابن آجروم، وهو شرح على الاجرومية للفقيه أحمد الرهوني ط تطوان 1350 هـ ــ 1931 / 1932 م.
2. منح الكريم المفضال بشرح لامية الافعال، وهو شرح على متن لامية الأفعال في الصرف لابن مالك، له أيضا.
3. رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة، وهو شرح على ألفية ابن مالك له أيضا ط تطوان 1349 ــ 1932 م
4. النحو لتلاميذ المدارس الابتدائية، تأليف مصطفى ابن عبد الوهاب ط تطوان 1943 م
5. قواعد اللغة العربية (أربعة أجزاء) تأليف محمد الامين التمسماني ومحمد مشبال ط تطوان 1951.

د. كتب التاريخ والجغرافية

1. تشنيف الاذان في مختصر تاريخ الاسبان، تأليف المترجم والصحفي اللبناني نعمة الله الدحداح ط تطوان 1932 م.
2. تقريب الاقصى من كتاب الاستقصا، للفقيه الرهوني ط تطوان 1346 هـ.
3. اختصار نفح الطيب، له أيضا ط تطوان 1346 هـ.
4. تاريخ المغرب، للأستاذ التهامي الوزاني ط تطوان 1940 م.
5. المغرب الجاهلي، له أيضا ط تطوان.
6. ملخص التاريخ العام، له أيضا ط تطوان 1940 م

7. مدخل تاريخ المغرب، للاستاذ عبد الله كنون ط تطوان 1944 م.

8. تاريخ المغرب، محمد ابن عبود ط تطوان 1951.

9. التاريخ، لعبد الله العمراني ط تطوان 1952 م

10. خلاصة تاريخ المغرب للاستاذ المصري محمد وهبي ط تطوان 1941 م

11. المغرب القديم، لنفس المؤلف ط تطوان 1944 م

12. التاريخ القديم للشمال الافريقي لنفس المؤلف ط تطوان 1944 م

13. التاريخ الطبيعي للاستاذ المصري محمد حمدي ط تطوان 1942.

14. الجغرافية العامة للمدارس الثانوية للاستاذين عبد الله العمراني وعبد السلام الطود ط تطوان 1371 هـ 1952 م.

15. جغرافية المغرب، تأليف عبد الله العمراني ط تطوان 1951 م.

16. الجغرافية للمدارس الابتدائية، تأليف محمد الغازي الرويفي ومصطفى أحمد الكواش.

17. الجغرافية العامة، للاستاذ أمين محمود ط تطوان 1942 م ولنفس المؤلف كذلك وهو أستاذ مصري الكتب الآتية :

18. مذكرات في الجغرافية ط تطوان 1939 م.

19. الشعوب والبيئات ط تطوان 1939 م.

20. موجز جغرافية المغرب ط تطوان 1939 م.

21. مبادئ الجغرافية الفلكية ط تطوان 1939 م.

22. تاريخ الأشياء (المسكن، الغذاء، الزراعة، الصناعة، التجارة الخ...) ط تطوان 1939 م.

23. عن حياة المغاربة في عصر التاريخ القديم ط تطوان 1939 م

24. تاريخ شمال افريقيا القديم ط تطوان 1939 م.

25. الماضي والحاضر ط تطوان 1363 م هـ 1944 م

هـ. كتب الادب والقراءة والمحفوظات :

1. القدوة السامية للناشئة الاسلامية ط تطوان
2. شرح الشمقمقية ط القاهرة 1354 هـ.
3. النبوغ المغربي في الادب العربي ط تطوان. وهي للاستاذ العلامة عبد الله. كنون.
4. المحفوظات للاستاذ محمد ابن عبود ط تطوان 1939 م.
5. كتابي، للأستاذ محمد عزيمان ط تطوان 1943 م.
6. الادب العربي، جزآن للاستاذ ابراهيم الالغي ط تطوان 1953 م
7. القراءة، للأساتذة محمد الكبداني ومحمد الأمين التمسماني ومحمد مشبال ط تطوان.
8. المطالعة الابتدائية لعبد الله العمراني ومحمد وهبي ط تطوان 1951 — 1954 م.
9. المختار في المحفوظات، تأليف محمد ربيع ط تطوان 1951 — 1952 م.
10. المختار الجديد في المطالعة، لنفس المؤلف ط تطوان 1955 م.
11. الادب والمحفوظات في العصر العباسي، تأليف محمد الامين التمسماني ط تطوان 1953 م
12. اقرأ، تأليف أحمد بوكماخ ط تطوان 1954 م.
13. مجموع الاناشيد المختارة لعبد السلام غازي ط تطوان 1943 م

كتب الرياضيات والعلوم.

1. العلوم الابتدائية، لمصطفى ابن عبد الوهاب ط تطوان 1952 م
2. كتاب الرياضيات والعلوم لمحمد خالد الريسوني والاسباني بيدرو فرنانديث ط تطوان 1953 — 1954 م

3. الحساب، للمؤلفين المذكورين ط تطوان 1955 م.

4. تدبير الصحة للمدارس الابتدائية، تأليف مصطفى أحمد الكواش ومحمد الغازي الرويفي ط تطوان 1951 م

5. الجديد في الحساب تأليف محمد الكيداني وأحمد رحال السرغيني ومحمد زيان ط تطوان 1955 م

6. الحساب، لإبراهيم عبد العزيز تطوان 1942 م

ز. كتب الخط والاملاء والضرب على الآلة الكاتبة :

1. دروس في الإملاء تأليف محمد عزيمان وعبد الجليل خليفة ط تطوان 1943 م

2. دفاتر الخط العربي، تأليف محمد السوسي وأنطونيو خاين ط تطوان 1950 م.

3. تعليم الآلة الكاتبة بالعربية، تأليف محمد الجحرة ط مدريد 1956 م.

وألفت بالاسبانية كتب لنفس الغاية التعليمية، وهي جميعها ترمي لتعليم الاسبانية للاطفال والشبان المغاربة عدا كتب ثلاثة : أولها كتاب في جغرافية اسبانيا، طبع بتطوان عام 1952 م وثانيها في تاريخها وطبع بها كذلك سنة 1952 م. والثالث في الادب الاسباني لتلاميذ البكالوريا المغربية، وطبع بها أيضا عام 1953 م.

وقد أصدرت الاقامة العامة بتطوان عام 1937 م مرسوما حول اعادة تنظيم نظام التعليم في منطقة الحماية، ونص الفصل الرابع منه على التعريب الكامل للتعليم الاسباني العربي، وخلق المدرسة المغربية التي تستعمل اللسان العربي في جميع مواد الدراسة، وكان مشروع خلق المدرسة المغربية في الاصل اقتراحا تقدم به الاستاذ التهامي الوزاني للمقيم العام بكبيدر، وكان غرضه منه ايجاد مدرسة ابتدائية حديثة تربط بين التعليم المغربي القديم والتعليم الحديث قياسا على المعاهد الحرة التي طبق فيها هذا النظام فكانت نتيجته سارة، وكان من آثار ذلك الاقتراح أن أصدر المقيم العام أمرا بالغاء المدارس الاسبانية

العربية، والاستعاضة عنها بالمدرسة المغربية الحديثة (التي فيها من الضمانات ما يجعل التلميذ أعرف باللغة الاسبانية فضلا عن لغته العربية الاصلية من المتخرجين من المدارس الاسبانية العربية) [37] والمدرسة الاسبانية العربية هي المدرسة الابتدائية الحديثة التي دخلت المغرب مع الحماية عندما أسس الاسبان مدرستين من هذا القبيل عام 1912 م في النواحي القروية بالناظور وحد بني شيكر، وكانت هذه المدارس من الوسائل التي كانوا يعتمدونها لاخضاع القبائل في عملية (التهدئة) أو الغزو المقرر للتراب المغربي، وكانت تحت الاشراف المباشر للمراقب الاسباني والشرطة الاسبانية. وكان الاسبان يبذلون جهودا كبيرة لحمل الآباء على تسجيل أبنائهم في تلك المدارس وقبولها رغم طابعها الاستعماري ومن أجل ابعاد الشبه عنها جعل الاسبان من المواد التي تلقن فيها مادة القرآن الكريم الذي أسند أمر تلقينه الى الفقهاء والطلبة (المدرين) وهي المادة الوحيدة التي كانت تلقن بالعربية، في حين كانت المواد الاخرى تلقن بالاسبانية، ومن طرف أساتذة اسبانيين، وهذه المواد هي : القراءة والكتابة،وقواعدالحساب الأربعة، ومبادئ الجغرافية والتاريخ والهندسة، وكانت هذه المدارس عامة للتلاميذ الاسبان والمغاربة، لكن المغاربة كانوا لا يتلقون تعليما دينيا مسيحيا، وكان التلاميذ الاسبان لا يفرض عليهم تعلم العربية لكن كان من الممكن أن يتلقن منهم من أراد هذه اللغة في دروس خاصة تنظم لهذا الغرض [38].

وقد غير نظام هذه المدارس بعض التغيير بظهير صدر عام 1354 هـ 1935 م لكن هذا التغيير لم يمس اعتماد هذه المدارس اللغة الاسبانية لغة للتلقين والتعليم، وظل الأمر على ما كان عليه إلى عام 1937 م حينما صدر الامر المقيمي بانشاء المدرسة المغربية المعربة كما تقدم لكن انشاء هذه المدرسة لم يؤد الى ما كان مرجوا من تطوير التعليم الابتدائي وتحسين مردوديته ورفع مستوى التلاميذ الذين كانوا يتلقونه، ولذلك بادرت الهيآت الوطنية إلى انتقاد الوضع التعليمي والمطالبة باصلاحه، وتكلم عن هذه المسألة الأستاذ التهامي الوزاني نفسه، فقال : «رغم كثرة هذه النفقات المبذولة على التعليم وهذه الميزانية الضخمة، فإن البلاد لحد الآن نجد فيها مدرسة واحدة حكومية ابتدائية على الطراز الحديث، فلقد أسست مدارس عدة، وقسمت إلى قسمين،

---

(37) جريدة الريف، العدد 289 صفحة 2 عام 1361 هـ ـــ 1942 م،

(38) la accion cultural... : 172

فقسم سموه بالمدارس القرآنية، وآخر سموه بالمدارس المغربية، أما المدارس القرآنية فلم ترتفع عن (المسايد) بل ربما كانت أقل منها فائدة، وأما المدارس المغربية، فانها عبارة عن لاشيء، اذا استثنينا بعض الدروس باللغة الاسبانية، ولقد انتقدنا هذا الصنيع عدة مرات، وطلبنا من الحكومة أن تفهم أننا نريد مدارس ابتدائية بكل معاني الكلمة، وأن مراتب التعليم اذا لم تكن منظمة التنظيم الأولي المتعارف فلا يمكن أن تأتي بفائدة (39)».

وازاء هذا الوضع التعليمي المتأزم واحتجاج الأوساط الوطنية بهذا الشأن، بادر المجلس الأعلى للتعليم الاسلامي إلى قرع ناقوس الخطر بشدة وعزيمة هذه المرة، فرفع تقريرا إلى الخليفة مباشرة، متجاوزا الرقابة التي فرضت عليه، لايضاح العراقيل والصعوبات التي تواجهه من طرف الادارة والمراقبين الاسبان الذين يتدخلون في كل كبيرة وصغيرة من شؤون التعليم، ويفشلون كل المساعي التي يبذلها المجلس في سبيل تطويره وتنظيمه ورفع مستواه (40).

ولعل المجلس الأعلى للتعليم الاسلامي أسمع بذلك التقرير المسؤولين عن السياسة الاسبانية بالمغرب، وجعلهم يتوجسون خيفة من هذا التوتر، ويعملون على نزع فتيل الفتنة التي كاد يمكن أن تندلع بسبب هذا الوضع. فاتخذت قرارات ظهرت في شكل ظهائر ومراسيم، وتهدف إلى معالجة الوضع التعليمي في مختلف مستوياته وخلق مؤسسات تعليمية جديدة لصرف النظر عن المشاكل القائمة، وفي هذا النطاق أسس نظام البكالوريا المغربية بظهير صدر عام 1359 هـ 1940 م. ونص على إحداث معهد مغربي للتعليم الثانوي بتطوان، وقد عين الفقيه الرهوني مديرا لهذا المعهد الذي بدأ يستقبل التلاميذ ابتداء من عام 1942 1943 م وفي السنة الثانية من حياة المعهد (1945 1946) تولى مهامه الادارية الاستاذ محمد داود ثم أسندت ادارته عام 1946 1947 م للأستاذ محمد عزيمان، وكان نظام البكالوريا الذي أنشيء المعهد بمقتضاه ينص على أن مدة الدراسة تستغرق سبع سنوات، يحصل التلميذ فيها بعد ثلاث سنوات من النجاح على شهادة البكالوريا الاولى، وتدرس المواد خلالها بالعربية عدا اللغتين الاسبانية والفرنسية بطبيعة الحال. وبعد أربع سنوات من النجاح يحصل التلميذ على شهادة البكالوريا العليا، وتكون الدراسة

---

(39) جريدة الريف العدد : 175 صفحة 2 عام 1358 هـ — 1939 م.

(40) نفس المصدر، العدد 215 عام 1359 هـ — 1940.

في هذه المرحلة بالاسبانية عدا اللغة العربية والدين اللذين يتلقاهما بلغته العربية، وقد تبين للمسؤولين عن التعليم على ضوء النتائج المحصل عليها في ذلك المعهد أن ثلاث سنوات دراسية لا تكفي ليحصل التلميذ على ثقافة عربية متينة، وأنه بعدها لن يكون مهيئا لمواصلة دراسته بالاسبانية خلال أربع سنوات من التعليم المكثف، ولذلك وقع تعديل هذا النظام بظهير صدر عام 1948 م صار التلميذ بمقتضاه يحصل على البكالوريا المغربية بعد أربع سنوات من الدراسة، يمكن بعدها لمن يريد منهم متابعة الدراسة سنة أخرى، تسمى سنة توجيهية تؤهله لدخول الجامعة المصرية، وتكون الدراسة في سنوات البكالوريا ــ عدا اللغة الاسبانية واللغة الاوربية الثانية ــ باللغة العربية وحمل البكالوريا يؤهل التلميذ لما يأتي :

1. حق الدخول للقسم التوجيهي.
2. حق الالتحاق بالتعليم الجامعي في الدول العربية التي توجد معها اتفاقات بهذا الشأن.
3. الالتحاق بالقسم الخامس من البكالوريا الاسبانية.
4. الالتحاق بمدرسة المعلمين بالمغرب، وأقسام معينة من المدرسة التقنية بتطوان، والمراكز المماثلة.
5. الافضلية في تولي الوظائف الادارية.

وكان القسم التوجيهي يشتمل على ثلاثة أقسام : قسم للآداب، وقسم للعلوم، وقسم للرياضيات :(41).

وقد صدر في عام 1941 م قانون يقضي بإعادة تنظيم مصالح الاقامة العامة، ونص على اعادة النظر في التعليم وتنظيمه واحداث نيابة للثقافة والتربية تتولى الاشراف عليه وبهذا وضع حد لادارة مراقبة التعليم التابعة لنيابة الامور الوطنية.

وقد عدل الظهير المؤسس للباكلوريا المغربية والصادر عام 1948 م بظهير آخر صدر عام 1951 م يقضي بأن تكون مدة الدراسة في المعهد المغربي للتعليم الثانوي سبع سنوات بدل أربعة، بحيث يحصل التلميذ على البكالوريا الاولى في أربع سنوات كما كان الامر من قبل، تكون الدراسة خلالها بالعربية، عدا الادب واللغة الاسبانية واللغة الأجنبية الثانية، ثم يدرس ثلاث

(41) la accion cultural : 294 — 299

سنوات أخرى للحصول على البكالوريا النهائية على غرار ما كان معمولا به في المدارس الاسبانية، ويكون التعليم بالاسبانية بنفس البرامج ونفس النصوص التي تستعمل في المدارس الاسبانية، ثم عدل هذا الظهير بموجب قانون 1952 م الذي جعل مدة الدراسة في مستوى التعليم الثانوي ست سنوات، وبذلك حذفت السنة السابعة من البرنامج (42).

ونص القانون كذلك على أن نيابة التربية والثقافة ستنظم على الشكل الاتي :

أ. التعليم الابتدائي والثانوي بفرعيه المغربي والاسباني، ويشمل المغربي التعليم الاسرائيلي، ويدخل في التعليم المغربي التعليم الاسلامي والعام.

ب. التعليم العالي والتخصص الذي سيعنى بالدراسات الخاصة للمغاربة والطلبة الممنوحين باسبانيا وبمركز الدراسات المغربية.

ج. الثقافة التي ستتولى أمور المكتبات وأقسام الصحف، والآثار التاريخية والفنية، والمتاحف والبحث والنشرات ذات الطابع الثقافي، وأمور العلاقات الثقافية.

د. التربية البدنية والرياضية وتفتيش الصحة المدرسية.

هـ. الفنون الجميلة والفنون التقليدية.

وبمقتضى هذا القانون صارت مديرية التعليم المغربي تابعة لهذه النيابة، وكذلك المجلس الأعلى للتعليم الاسلامي الذي تشرف عليه المديرية المذكورة (43).

وفي هذه السنة (1942 م) عين الاستاذ محمد دواد مديرا للتعليم المغربي، وعين الاستاذ محمد عزيمان مفتشا للتعليم الثانوي، والاستاذ محمد ابن عبود مفتشا للتعليم الابتدائي.

وفي العام نفسه (1361 هـ 1942 م) صدر ظهير يقضي بانشاء معهد فني لتكوين الاطر المتوسطة، ويشتمل على أربعة أقسام : قسم تكوين المعلمين

---

(42) Ibid 300 — 301

(43) la accion cultural...109 — 110

المغاربة، وقسم المعارف الزراعية، وقسم تكوين الصحيين، وقسم تكوين الاداريين [44].

وكانت لغة التعليم في هذا المعهد هي الاسبانية، وكان التلاميذ يتلقون دروسهم في مختلف المعارف والعلوم الحديثة التي تتصل بتكوينهم ومهنتهم أو وظيفتهم كالحساب والجبر والهندسة والكيمياء والفيزياء وغيرها، ولم تكن اللغة العربية فيها الا مادة ثانوية، وكذلك مادة الدين التي كانت تدرس في بعض الاقسام، وقد ظل قسم تكوين المعلمين تابعا لهذا المعهد الى عام 1947 م 1948 م عندما ظهر من المصلحة فصل هذه المدرسة عن المعهد الفني وجعل التعليم بها باللغة العربية، حتى يوجه المتخرجون منها للمدرسة الابتدائية العربية، وقد أسندت ادارة هذه المؤسسة الى الاستاذ أحمد الكبداني خريج دار العلوم القاهرية [45]. وقد عدل الظهير المؤسس لها بظهير آخر صدر عام 1369 هـ 1949 م وقد تضمن فصله الاول ضرورة عدم السماح للالتحاق بهذه المدرسة الا لمن درس ثلاث سنوات في أقسام البكالوريا المغربية ونص فصله الحادي عشر على أن المتخرج من قسم المعلمين يكون مؤهلا لخوض الامتحانات التي تنظمها وزارة المعارف لملء المناصب الشاغرة في المدارس المغربية، ومعنى هذا أن التخرج من مدرسة المعلمين كان لا يعطي الحق في الوظيف وانما كان يعطي الحق في أن يكون الشخص مرشحا له [46].

وفي عام 1946 أسست وزارة للمعارف العمومية يترأسها وزير وسكرتير وتشمل أربع مديريات :

1. مديرية التعليم الديني.
2. مديرية التعليم الجامعي.
3. مديرية التعليم الثانوي.
4. مديرية التعليم الابتدائي.

وتضم كذلك مجلسين : مجلس أعلى للتعليم الاسلامي، ومجلس أعلى للبحث، وعندما أسست الوزارة انتهى العمل بنظام مديرية التعليم المغربي، التي كان يرأسها الأستاذ محمد دواد، وان كان قد استمر يزاول مهامه الادارية إلى

(44) Ibid : 448

(45) Ibid : 484

(46) Ibid 445 — 487

31 ديسمبر 1950 م عندما تخلى عنها، وظل بعدها يعمل أستاذا بالتعليم الديني العالي، متفرغا لابحاثه واتمام العمل في مؤلفاته.

وفي عام 1374 هـ 1954 م وبمقتضى ظهير يحمل نفس التاريخ غير اسم وزارة المعارف العمومية باسم وزارة التربية والثقافة، التي بقيت قائمة على حالها حتى حصل المغرب على الاستقلال، وفي السنوات الأولى للاستقلال جنى المغرب بعض ثمرات تلك الجهود المبذولة في حقل التعليم بالمنطقة الشمالية عندما اختارت وزارة التعليم بالمغرب المستقل سبعين طالبا دفعة واحدة ممن تخرج وتكون في معاهد المنطقة، ووجهتهم ليتموا دراستهم العليا في الخارج حتى تكون منهم الاطر المسيرة في عهد الاستقلال، كما أخذت القوات المسلحة الملكية المغربية طائفة أخرى من شبان المعاهد المذكورة، ووجهتهم إلى الاكاديمية العسكرية الاسبانية ليتخرجوا ضباطا في القوات المسلحة الملكية (47).

أنــواع التعليــم

التعليم العربي الذي كان بتطوان على ثلاثة أنواع وهي : التعليم الديني، والتعليم العصري (الرسمي) والتعليم الحر.

أ. **التعليم الديني** : هذا التعليم هو التعليم التقليدي الذي شاع في البلاد العربية والمغربية، وكان يعتمد على حفظ القرآن والعلوم الاسلامية والعربية من نحو وبلاغة وحديث وتفسير وتاريخ وغيرها، وأول مرحلة الكتاب، وتليها مرحلة ابتدائية وثانوية وعالية، وغير أن من الملاحظ أنه لم يكن هناك فصل واضح بين المرحلتين الابتدائية والثانوية، اذ تعتبران مرحلة واحدة، الا بالنسبة لنوع الكتب التي تدرس أو طريقة التدريس، التي يراعى فيها سن المتعلم ومستوى ادراكه.

1. مرحلة الكتاب أو (المسيد) كما يسمى بالمغرب وهي مرحلة أساسية في التعليم الديني والغاية منها حفظ القرآن الكريم حفظا متقنا، وفي بداية المرحلة يسهر المؤدب أو (المدرر) كما يسمى بالمغرب ــ ومعنى الكلمة معلم الأطفال، مشتقة من كلمة الدراري بمعنى الأطفال ــ على تعليم الطفل رسم الحروف حتى يكون قادرا على القراءة والكتابة، ويتدرب على كتابة سور القرآن

(47) البدايات الأولى للحركة الثقافية بتطوان : 48 ــ 49

شيئا فشيئا في لوح من الخشب وبقلم من القصب وحبر يصنع من مادة الصمغ، وكلما حفظ لوحه محاه بالماء في حوض خاص معد لذلك بالكتاب، ثم يطليه بمادة الصلصال، ويكتب عليه من جديد، وهكذا دواليك، ويجلس الأطفال على حصر مفروشة على الواح خشبية القرفصاء، تحت سمع وبصر المؤدب الذي يجلس على مصطبة يراقب الأطفال ويستمع اليهم وهم يقرأون بعدما يفرغ من مهمة تلقينهم ما يكتبون على ألواحهم، وفي يده قضيب طويل يضرب به الطفل الذي يظهر تهاونا أولا يحفظ لوحه حفظا جيدا، وتقتصر مهمة المؤدب على تحفيظ القرآن والرسم وضبط الصبيان، ولا يتعلم الأطفال في الكتاب أي شيء يؤدي الى فهمه من نحو أو شرح ولو بطريقة بسيطة، وهذه هي الطريقة التي ذكر ابن خلدون أن المغاربة درجوا عليها «أما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر، ولا من كلام العرب الى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة» (48).

وجرت العادة أنه عندما يتمكن الصبي من حفظ القرآن بقراءة ورش أو بها وببعض القراءات كقراءة قالون مثلا (49)، وكان العمل بهذا جاريا في تطوان، ويكون مقبلا على التعليم المتوسط، يوجهه فقيه المكتب لحفظ المتون العامة التي تدرس في هذه المرحلة كمرشد ابن عاشر والمختصر والاجرومية والالفية وغيرها (50).

ويأخذ المؤدب الاجرة على التعليم من أولياء الأطفال، وتكون بالمدينة مبلغا نقديا بسيطا يدفع اليه كل أسبوع أو كل شهر، ويتعاقد أهل القرى مع فقيه الكتاب حسبما جرت عليه عادتهم، فتكون أجرته قناطير من الشعير، من ثلاثة إلى ثمانية حسب أهمية القرية، ويرسل اليه كل أهل دار بالتناوب طعاما كل يوم، ويعطونه بالاضافة إلى ذلك أرضا، يخصص كل رجل من القرية يوما للعمل الزراعي بها (51).

---

(48) المقدمة : 495.
(49) عمدة الراوين 8 : 86
(50) نفس المصدر 8 : 88
(51) la accion cultural : 150

ويبدأ يوم العمل بالكتاب القرآني من طلوع الشمس إلى الظهر، ويرجع الأطفال بعد الظهر لتستمر قراءتهم إلى المغرب، بينما يواصل الكبار منهم والمتقدمون في الحفظ دراستهم إلى العشاء، ولا يتمتع الأطفال بعطلة الا مساء يوم الخميس وصباح الجمعة وأيام الأعياد الدينية، وكذلك عندما يرغب أحد أولياء الأطفال في راحتهم بصفة استثنائية، فيحضر إلى (المسيد) ويقدم للفقيه مبلغا من النقود وبيضة، ليتمتع الأطفال بـ (التحريرة) وقد يكون الذي يقدم ذلك المبلغ والبيضة طفلا من أطفال الكتاب، ويبقى العمل جاريا بهذا النظام صيفا وشتاء.

وقد كانت الكتاتيب القرآنية بتطوان تفتقد الشروط الضرورية لضمان صحة الأطفال، فقد كانت توجد في غرف مقفلة، يصل اليا النور من نافذة مرتفعة، ويدخل اليها من باب منخفضة، وكانت نسبة التمدرس بها قليلة، ذلك أن عدد الكتاتيب بالمدينة عام 1912 كان لا يزيد على تسعة وعشرين، وكانت تضم 627 طفلا، وهو عدد قليل اذا علمنا ان عدد السكان كان يصل إلى ثلاثين ألف نسمة (52).

2. التعليم المتوسط (الابتدائي والثانوي) :

بعد مرحلة الكتاب، يقبل التلميذ على مرحلة جديدة، بعدما حفظ القرآن، ومهر في الكتاب، وحفظ بعض المتون العلمية، وفي هذه المرحلة يجلس الى الاساتذة (الفقهاء) في الدروس التي كانو يعقدونها بمساجد المدينة وبعض الزوايا، مثل مسجد لوقش ومسجد للافريجة ومسجد السوق الفوقي والزاوية الريسونية، وتدور دروسهم على شرح المتون العلمية مثل الاجرومية والالفية ولامية الأفعال ومرشد ابن عاشر ومختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد القيرواني وشمائل الترمذي وبردة البوصيري وصحيح البخاري وموطأ مالك والسلم في المنطق وغيرها، يقتصر الفقيه المعلم في هذه المرحلة على شرح الالفاظ وبيان المعنى باختصار، ويتدرج مع كبار التلاميذ في الشرح، وقد يشعرون بتقدمهم في التعليم، فلا يقنعون بشرحه، وانما يبحثون عن أستاذ آخر أقدر على التبليغ وأكثر علما ليجلسوا الى حلقته ويستفيدوا من شروحه. ومن الاساتذة الذين كانوا بتطوان، والذين كانوا يقومون بهذا التعليم الفقهاء الزواقي

(52) Ibid : 155

ومحمد بن علي عزيمان ومحمد بن محمد الابار ومحمد بن محمد أفيلال والتهامي أفيلال ومحمد بن أحمد النجار الانصاري ومحمد الزواقي، وقد كان معظم ذلك التدريس تطوعا، لا يعطى عنه الفقهاء أجرا، عدا الزاوية الريسونية التي كانت لها أحباس، يخصص بعضها لمجالس الاقراء (53).

وفي عام 1915 وقع الشروع في اصلاح مدرسة لوقش وخصصت لذلك ميزانية بلغت 65.230 بسيطة لرواتب الأساتذة الذين رتبوا على أربع درجات، ومساعدات تقدم للطلبة ومبلغ لصيانة المدرسة (54).

وصدر في عام 1354 هـ 1935 م ظهير لتنظيم التعلمي الابتدائي الديني، وكان الهدف منه تأسيس ما يسمى بالمدرسة القرآنية وهي المدرسة التي كان يقصد منها أن تكون بديلا للكتاب القرآني الذي كان يفتقد الشروط الصحية ووسائل العمل التربوي المناسبة ووضع برنامج لعمل هذه المدرسة يستغرق ست سنوات، على أساس أن تخصص ساعة للقرآن وحفظه كل يوم، وأسست بمقتضى الظهير المذكور ثلاث مدارس، واحدة بتطوان وأخرى بأصيلا وثالثة بالقصر الكبير، وكانت مواد الدراسة بالنسبة لجميع السنوات تشتمل على ما يأتي : القرآن، واللغة العربية والتاريخ والجغرافيا ودروس الأشياء والعلوم والرياضيات ومبادئ الهندسة واللغة الاسبانية والألعاب المدرسية، لكن من الملاحظ أن هذا النوع من التعليم لم يستطع أن يكون بديلا عن التعليم بالكتاتيب، ولا أن يغير مجرى التعليم الديني الأصيل، ولذلك أدمج هذا التعليم عام 1949 ـــ 1950 في التعليم الابتدائي العصري الذي كان يسمى باسم المدرسة الابتدائية الاسلامية (55). وكان مع ذلك عقيما (56)، وبقي الأمر على ذلك إلى عام 1357 ـــ 1938 الذي صدر فيه مرسوم وزاري ينظم شؤون التعليم الديني وينص على فروعه ومن بينها التعليم الابتدائي، وفي عام 1952 صدر مرسوم آخر ينظم التعليم المذكور من جديد، وبمقتضاه صارت مدة الدراسة بالتعليم الابتدائي أربع سنوات وبالثانوي ست سنوات، وبالعالي أربع سنوات، وكان التلاميذ يتلقون تعليمهم آنذاك في حلقات الجامع الأعظم بتطوان.

---

(53) عمدة الراوين 1 : 189 ـــ 190

(54) la accion cultural : 337

(55) la accion cultural : 157

(56) جريد الريف، عدد 195 عام 1388 هـ ـــ 1939 ص 2.

3. **التعليم العالي** : كان يوجد بتطوان في هذه الفترة وقبلها علماء كبار، مروا بمراحل التعليم كلها وحصلوا على اجازات من شيوخهم ويشهد الجمهور بكفاءتهم العلمية، وأكثر هؤلاء الشيوخ كانوا يتمون تعليمهم بفاس التي كانت اليها رحلة طلبة تطوان في هذا العصر لاتمام تعليمهم بها بجامع القرويين، وهكذا كان شأن الفقهاء أحمد الزواقي ومحمد الزواقي وأحمد الرهوني ومحمد الفرطاخ ومحمد أفيلال وغيرهم. وكان من الممكن أن يظل هذا التقليد قائما لولا ظروف الحماية التي كانت تضع العراقيل في وجه انتقال الطلبة والأشخاص بين الشمال والجنوب ومع هذا فان الرحلة من الشمال ومن تطوان خاصة إلى فاس قصد الدراسة العليا بها استمرت إلى أواخر الثلاثينات، فقد ذكر المؤرخ الأستاذ التهامي الوزاني أنه عندما دخل فاسا عام 1928 م وجد بها ثلاثين طالبا من تطوان، وكانوا على صلة بالزعيمين علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني (57) ومن بين الطلبة التطوانيين الذين التحقوا بها في هذه الفترة للدراسة بها عبد الخالق الطريس ومحمد الطنجي وامحمد عزيمان ومحمد بن مصطفى أفيلال والطيب بنونة (58).

وقد صار موضوع التعليم العالي بتطوان موضوع تنظيم منذ عام 1336 هـ 1918 م عندما صدر ظهير ينظم شؤونه ونص الظهير على تعيين تسعة أساتذة وهم على مراتب ثلاثة :

1. العلماء وهم : أحمد الزواق ومحمد اللبار ومحمد المؤذن
2. الفقهاء وهم : محمد الزواق ومحمد أفيلال ومحمد المرير.
3. الطلبة وهم : الحسن أفيلال والمهدي الموفق ومحمد أقشار.

وخصص مبلغ 1200 بسيطة سنويا أجرة لاصحاب الطبقة الأولى، ومبلغ 900 بسيطة للطبقة الثانية ومبلغ 600 بسيطة للطبقة الثالثة، ثم وقعت الزيادة في تلك المرتبات بقرار وزاري صدر بعد ذلك بأشهر اذ صارت المرتبات 1800 و 1200 و 900 بسيطة على التوالي (59).

(57) جريدة الريف، عدد 220 عام 1359 — 1940 م.
(58) البدايات الاولى للحركة الثقافية : 41 — 42
(59) la accion cultural : 338

وكانت هذه المبالغ، وكل مخصصات التعليم الديني تعطى من ميزانية الأحباس، إلى غاية عام 1937 حين بدأت الأحباس تتخلى شيئا فشيئا عن دعم التعليم الديني، تاركة ذلك للميزانية العامة للمنطقة (60).

وصدر عام 1357 / 1938 مرسوم وزاري، قرره المجلس الأعلى للتعليم الأسلامي، ينظم من جديد أمر التعليم الديني، وينص على مواد الدراسة وطرق التعليم والحصص الزمنية، وقسم هذا التعليم الى أربعة أقسام : الابتدائي والثانوي والعالي والتخصص، ومن أهم ما اشتمل عليه المرسوم ادخال مواد جديدة لتدرس ومن بينها الأدب والمنطق والرياضيات والجبر والهندسة والجغرافيا والتاريخ، كما نص المرسوم على كون الصيف عطلة رسمية في هذا التعليم.

وصدر عام 1358 — 1939 ظهير يؤسس نظام الشهادات للأقسام المذكورة، وبذلك استغنى عن الاجازات الخاصة التي كان الطلبة يأخذونها من شيوخهم.

وكان النظام المذكور محل تعديل جديد عام 1944 على يد المجلس الأعلى للتعليم الاسلامي، حيث حدد هذا النظام أقسام الدراسة في ثلاثة بدل أربعة : الابتدائي والثانوي والعالي، وصارت مدة الدراسة بالابتدائي خمس سنوات وبالثانوي خمس سنوات كذلك وبالعالي أربع سنوات، ونص فيه كذلك على أن تطوان وحدها من بين مدن الشمال هي التي تحتضن التعليم الديني في مرحلتيه الثانوية والعالية.

وكان ابتداء الدراسة بالمعهد الديني العالي الذي نصت عليه المقررات المذكورة يوم 17 شوال 1363 هـ 14 اكتوبر 1944 م، وذلك بالمقر الذي خصص له بالدار الكائنة بشارع المصلى رقم 42، وكانت تشتمل على غرف الدراسة مجهزة بأثاث عصري، وعلى قسم داخلي يتسع لثلاثين طالبا، وعين الفقيه العلامة أحمد الزواقي الحسني أول مدير لهذا المعهد (61) وكان لا يشتغل بالادارة وحدها بل كان يعطي الدروس باستمرار في هذه المؤسسة، وكانت هيأة رجال التعليم تتألف من هؤلاء الأساتذة :

— التهامي الوزاني، مدير المعهد الديني، وخليفة العلامة الزواقي بالمعهد الديني العالي.

---

(60) Ibid 340 — 342

(61) Ibid : 350 - El instituto religioso de Tetuan p. 593

ـــ محمد بن محمد المرير، رئيس محكمة الاستيناف الشرعي.
ـــ محمد بن محمد الفرطاخ، مساعد قضائي بنيابة الأمور الوطنية.
ـــ محمد بن محمد اللبادي، قاضي تطوان.
ـــ العربي بن علي اللوه، سكرتير أول بالصدارة العظمى.
ـــ عبد السلام بن محمد بلقات، مدرس المعهد الديني بتطوان.
ـــ عبد الله بن عبد الصمد كنون، مدير معهد مولاي الحسن بتطوان.
ـــ امحمد بن علال عزيمان، مدير التعليم الثانوي الاسلامي.
ـــ محمد بن أحمد داود، المدير السابق للتعليم المغربي.
ـــ محمد التجكاني، مدرس بالمعهد الديني.
ـــ محمد بن عبد الكريم الفحصي، خليفة قاضي تطوان.
ـــ محمد بن محمد الكبداني، مدير مدرسة المعلمين.
ـــ ابراهيم الالغي، أستاذ بالمدرسة المذكورة.
ـــ محمد بن حدو امزيان خريج كلية الأزهر بمصر.
ـــ محمد بن محمد الشدادي قاضي تطوان.
ـــ محمد بنتاويت، مجاز في اللغات الشرقية من جامعة القاهرة.

وكان المعهد في هذا المقر يحتوي على مكتبة، يرجع اليها الاساتذة والطلاب في أبحاثهم [62].

وفي عام 1947 نقل المعهد الى مقره الجديد داخل المدينة القديمة بالملاح البالي في دار ورثة ابن عبود، وقد اشترتها الحكومة منهم بمبلغ باهظ آنذاك وهو مبلغ مليون بسيطة، وكان يشتمل على ادارة وقسم داخلي للطلبة ومكتبة قيمة وغرف للدراسة.

وكانت وزارة المعارف تساهم في ميزانية المعهد بمبلغ 200.000 بسيطة تخصص لنفقات الأساتذة والموظفين، وكانت وزارة الأحباس تساهم بمبلغ 6000 بسيطة كإعانات مخصصة لثلاثين طالبا من طلبة المعهد، بحيث ينوب كل واحد منهم اعانات قدرها مائتا بسيطة، يأخذ كل واحد 25 بسيطة نقدا، ويصرف الباقي على غذائه بالقسم الداخلي، واذا نقص الطلبة من العدد المذكور كانت المبالغ الباقية تصرف في مجال التجهيز، وشراء كتب للمكتبة [63].

(62) El instituto religioso de Tetuan Rev. Afric 1951 p. 593

(63) Ibid : 592 j. 595

وقد كان مرسوم عام 1952 الذي جاء تطبيقا لظهير 1951 بشأن التعليم الديني قرر أن مدة الدراسة بالابتدائي أربع سنوات وبالثانوي ست سنوات وبالعالي أربع سنوات، ونص المرسوم المذكور على أن مواد الدراسة والحصة الزمنية المخصصة لكل مادة والكتب المعتمدة بالمعهد الديني العالي تكون على هذا النحو :

العلوم	الدروس الاسبوعية	الكتاب المقرر السنة الأولى
1. التفسير	2	سورة البقرة بتفسير ابن كثير الى قوله تعالى ﴿سيقول السفهاء من الناس..﴾
2. الحديث	3	تدرس الابواب الآتية من صحيح البخاري مع التوسع في الشرح دون التقيد بشرح معين ومع التعرض لما يستلزمه السند من الصناعة الحديثية ولما يتطلبه الشرح من التطبيق والتنزيل : الوحي، العلم، الايمان، الوضوء، الصلاة وأبوابها إلى الزكاة.
3. الحديث	2	الموطأ، الربع الاول : من الاول الى باب ما جاء في مجسد النبي.
4. الاصول	2	النصف الاول من ارشاد الفحول للشوكاني الى التخصيص.
5 الفقه	5	الزرقاني على المختصر من النكاح الى الرضاع.
الفقه	1	بداية المجتهد (الربع الاول)
6. التطبيقات الفقهية	2	تمارين في سير الدعوى والتوثيق والفرائض الخ.
7. علوم البلاغة	2	دلائل الاعجاز للجرجاني الى باب اللفظ والنظم.
8. الادب	3	دراسة العصر الجاهلي والاسلامي مع الاستعانة بكتاب تاريخ الادب العربي للزيات ومطالعات في الكامل للمبرد.

9. التاريخ	2	تاريخ المغرب قبل الاسلام ثم تاريخ الاسلام الى سقوط الدولة الاموية وتوجيه عناية خاصة إلى الحضارة والحياة العقلية ويستعان في هذه الناحية بفجر الاسلام لاحمد أمين.
10. التربية وطرق التدريس	1	يستعان بكتاب «التربية وطرق التدريس» لعبد العزيز عبد المجيد
مجموع الحصص الأسبوعية	**25**	

		السنـة الثانيـة
1. التفسير	2	ابن كثير من أول حزب «سيقول» الى آخر سورة البقرة.
2. الحديث	3	الابواب الآتية من صحيح البخاري : الجهاد والسير، بدء الخلق.
3. الحديث	2	الربع الثاني من الموطأ.
4. الاصول	2	النصف الثاني من ارشاد الفحول : من التخصيص إلى آخر الكتاب.
5. الفقه	5	الزرقاني على المختصر : من الرضاع الى الصلح.
	1	بداية المجتهد (الربع الثاني).
6. التطبيقات الفقهية	2	تمارين في سير الدعوى والتوثيق، والفرائض.. إلخ
7. علوم البلاغة	2	النصف الثاني من دلائل الاعجاز : من باب اللفظ والنظم إلى اخره.
8. الادب	3	دراسة العصر العباسي مع الاستعانة بكتاب الزيات ومطالعات في البيان والتبيين للجاحظ.
9. التاريخ	2	العصر العباسي مع العناية بالحضارة والحياة العقلية ويستعان في هذه الناحية بضحى الاسلام.

10. التربية وطرق التدريس	1	يستعان بالجزء الثاني من كتاب «التربية وطرق التدريس».
مجموع الحصص الاسبوعية :	**25**	

		السنـــة الثـالثـــة
1. التفسير	2	تفسير الشيخ عبده من أول سورة آل عمران إلى نهاية الجزء الثالث من التفسير.
2. الحديث	3	المغازي والتفسير من صحيح البخاري.
3. الحديث	2	الربع الثالث من الموطأ.
4. الفقه	5	الزرقاني على المختصر : من الصلح إلى القضاء.
الفقه	1	بداية المجتهد (الربع الثالث).
5. التطبيقات الفقهية	2	كما في السنة الماضية
6. الأدب	3	دراسة الأدب العربي والأندلسي مع الاستعانة بالنبوغ المغربي وأزهار الرياض.
7. التاريخ	2	الأندلس : تاريخها السياسي والعقلي.
8. تاريخ التشريع الاسلامي	1	تاريخ التشريع الاسلامي للخضري
9. الفلسفة الاسلامية	1	محاضرات في الموضوع
10. التربية وطرق التدريس	1	دراسة نظرية لاصول التدريس مع القيام بتمارين عملية عليها ويستعان بكتاب «دروس في أصول التدريس» لساطع الحصري.

مجموع الحصص الاسبوعية :	25	

		السنة الرابعة
1. التفسير	2	تفسير الشيخ محمد عبده من أول الجزء الرابع إلى آخر سورة ال عمران.
2. الحديث	5	الابواب الآتية من صحيح البخاري : الادب، الاستئذان، الدعوات، الرقائق، القدر، الاعتصام، التوحيد.
الحديث	2	الربع الأخير من الموطأ.
3. الفقه	5	من باب القضاء من الزرقاني على المختصر.
الفقه	1	بداية المجتهد (الربع الأخير).
4. التطبيقات الفقهية	2	تمارين في سير الدعوى والتوثيق، والفرائض.. إلخ
5. مبادئ قانون المرافعات والقانون الاداري	1	
6. الادب	3	دراسة عصر النهضة الحديثة ويستعان بكتاب الزيات ويطالع كتاب زعماء الاصلاح في العصر الحاضر لاحمد أمين.
7. التاريخ	2	تاريخ المغرب، يستعان بكتاب الاستقصا.
8. الفلسفة الاسلامية	1	محاضرات في الموضوع
9. التربية وطرق التدريس	1	تمارين عملية في التدريس ودراسة التنظيم المدرسي مطبقا على المعاهد الدينية.

مجموع الحصص الاسبوعية :	25	

ب. التعليم العصري (الرسمي) :

يقصد به التعليم الذي يقابل التعليم الديني التقليدي الذي يعطى في الكتاتيب القرآنية والمساجد والزوايا، يقابل كذلك التعليم الحر الذي لا يخضع للادارة الحكومية، وهذا النوع من التعليم ينقسم إلى ابتدائي وثانوي وقد تأخر ظهوره بالمنطقة الشمالية كثيرا لاسباب، منها الحرب بين المغاربة والاسبان في الجبال والتي استمرت الى عام 1927 م، والتي شغلت سلطة الحماية من القيام بأية اصلاحات في الميدانين الاقتصادي والاجتماعي، وثبطت المغاربة عن الاقبال على تعليم يشرف عليه ويراقبه ويعلم فيه الأجنبي الاسباني المسيحي، ومنها عدم وجود امكانات اقتصادية للنفقة على هذا التعليم، وعدم وجود مؤسسات عصرية تكون مقرا له، وعدم وجود كتب مدرسية مغربية أو اسبانية صالحة لتعليم الطفل المغربي (64).

وكانت المدرسة العصرية الأولى التي ظهرت بالشمال هي التي سميت بالمدرسة العربية الاسبانية، وهي في الحقيقة مدرسة اسبانية، وأعدت لخدمة المصالح الاسبانية بالمغرب، غير أن أنه لما كان المغاربة يحجمون عن الانخراط فيها، ظهر للسلطة الاسبانية أنه يلزم لاغرائهم بالاقبال عليها، أن لا تكتفي بتعليم الاسبانية، بل يلزم أن تعلم العربية، وأن يكون إلى جانب المعلم الاسباني فقيه يعلم القرآن، وقد أسست مدارس من هذا القبيل وبصورة بسيطة في بعض القبائل الشمالية، وكان نجاحها ضعيفا.

وكانت أول مدرسة من هذا القبيل أنشئت بتطوان هي مدرسة القنصلية الاسبانية التي كان مقرها بشارع الزاوية والتي يرجع تاريخها إلى عام 1908 م، وكان عدد الأطفال المسجلين بها عام 1912 يصل الى ثلاثين، وقد تطورت هذه المدرسة ونما عدد الملتحقين بها وأطلق عليها عام 1951 اسم مدرسة مولاي اسماعيل، وإلى جانب هذه المدرسة أسست مدارس ابتدائية أخرى بتطوان، وهي المدرسة العربية الاسبانية للقصبة (1935 — 1936) ومدرسة

(64) la accion cultural : 161 - 164

سيدي المنظري (1949) ومدرسة سيدي علي بركة (1950) ومدرسة سيدي أحمد الزواق (1953) ومدرسة الاميرة أم كلثوم للبنات (1951) ويرجع تاريخ تأسيس هذه المدرسة التي كانت أول مدرسة ابتدائية للبنات إلى عام 1935 وكان مقرها بجنان الغنيمة ومدرسة سيدتنا عائشة، وصارت تعرف بهذا الاسم عام 1951 ومدرسة سيدي عبد السلام بن ريسون، وصارت تعرف بهذا الاسم منذ عام 1951 ويرجع تاريخها الى عام 1941 ومدرسة فاطمة الزهراء (1953) ومدرسة السيدة آمنة (1954) ومدرسة سيدي الصعيدي للبنات [65].

ولقد خاضت الحركة الوطنية بالشمال معارك من أجل انشاء تعليم عصري يحقق مطامح المغاربة في مجال التعليم ويعطي للبلاد أطرا متخصصة قادرة على أن تناط بها مسؤوليات النمو والتقدم. ولم تكن المدرسة العربية الاسبانية بنظامها وأهدافها الاستعمارية ونموها البطىء لترضي تلك المطامح في شيء، وهذا ما جعل الوطنيين ينتقدونها ويعيبون على السلطة الحامية تقصيرها في مجال اصلاح التعليم [66]، وأدت الضغوط في هذا المجال الى تغيير نسبي نص عليه مرسوم 1937 الذي حذف اسم المدرسة الاسبانية العربية وأبدله باسم المدارس المغربية، وهي المدارس التي صارت تعرف منذ عام 1940 باسم المدارس الابتدائية الاسلامية، ومن أهم ما اشتمل عليه مرسوم 1937 أنه قضى بتعريب التعليم الابتدائي، واقتضى ذلك ايجاد مدرسة للمعلمين ومدرسة للمعلمات لتخريج المعلم المغربي القادر على تلقين التعليم بلغته، وقد تقرر برنامج المدرستين في نوفمبر 1949، كما تطلب ذلك ايجاد الكتاب المدرسي، وقد تحدثت قبل هذا عن الجهود التي بذلت في هذا المجال، وعن المؤلفات التي وضعت لصالح التعليم الابتدائي.

وقد نص ظهير 1948 النظم للتعليم الابتدائي على الفصل بين البنين والبنات في المدارس إلا في رياض الأطفال وعلى تقسيم المدارس الى حضرية وقروية، ووجوب العناية في القروية بالتربية الزراعية وفي الحضرية بالتكوين المهني، وأن الالتحاق بالمدارس الابتدائية يكون في السنة السادسة من عمر الطفل، وأنه بإمكان الناجحين في الحصول على شهادة التعليم الابتدائي أن يشاركوا في

(65) Ibid : 213 - 219

(66) جريدة الريف، العدد 175

الامتحان الذي يعقد لمنح الاعانة المالية للمتفوقين لمتابعة دراستهم الثانوية أو الفنية، وأن المدارس الحرة يمكنها أن ترشح تلاميذها لنيل الشهادة الابتدائية.

وكان برنامج الدراسة يشمل هذه المواد : القرآن، الدين والتهذيب، واللغة العربية والحساب، ومبادئ الهندسة، والجغرافية والتاريخ، ومبادئ العلوم، ومبادئ تدبير الصحة، ومبادئ الزراعة (للمدارس القروية للبنين) والرسم والأشغال اليدوية (لمدارس البنين) والرسم والأشغال المنزلية على الطريقتين المغربية والاسبانية (لمدارس البنات) ودروس الأشياء ومبادئ الصحة (لروض الأطفال) والتربية البدنية والغناء والألعاب (للروض كذلك).

وكان من الطبيعي بسبب البطء في نمو التعليم الابتدائي وانشاء المدارس الابتدائية العصرية أن يتأخر ظهور التعليم الثانوي بالشمال المغربي ومدينة تطوان عاصمته في ذلك الحين، فالتعليم الثانوي لم يظهر بها الا بعد صدور ظهير عام 1359 ـــ 1940 م الذي نص على انشاء معهد مغربي للتعليم الثانوي، وهو الذي صار يعرف باسم المعهد الرسمي، وقد بدأت الدراسة به عام 1942 ـــ 1943، وعدل الظهير المذكور بظهير آخر صدر عام 1948 الذي بمقتضاه صار تلاميذ المعهد يحصلون على الباكالوريا المغربية بعد أربع سنوات من الدراسة، يمكن بعدها لمن يريد منهم دراسة سنة أخرى توجيهية أن يلتحق بالجامعة المصرية، ولغة الدراسة بالمعهد، عدا مادة اللغة الاسبانية واللغة الاجنبية الثانية هي العربية.

وقد اعترفت وزارة المعارف المصرية بالشهادة الثانوية المغربية، وجعلتها معادلة لشهادة الثقافة العامة بتاريخ اكتوبر 1950، وأعطيت الفرصة بذلك لعدد من الطلبة حاملي الشهادة المذكورة للالتحاق بمصر للدراسة بالسنة الخامسة التوجيهية بها.

وكان على الطلبةالذين يريدون الالتحاق باسبانيا للدراسة بها أن يدرسوا سنتين أخريين ببعض مدارس تطوان ليقبلوا في مؤسسات التعليم العالي الاسباني، وقد اعترفت وزارة المعارف الاسبانية بدراسة السنتين المذكورتين، وسمح للطلبة المغاربة الناجحين فيها بالمشاركة في الامتحانات التي تعقدها الجامعة الاسبانية لطلاب شهادة الباكلوريا الاسبانية، ونتيجة لذلك التحق عدد من الطلاب المغاربة باسبانيا للدراسة بجامعاتها [67].

---

(67) خلاصة عن حالة التعليم والثقافة في المنطقة الخليفية بالمغرب : 35 ـــ 36

ج. التعليم الحر :

نشأ هذا التعليم على يد الوطنيين المغاربة الذين شعروا بأن التعليم الديني قاصر عن تلبية الحاجات الثقافية العصرية وأن التعليم الرسمي خاضع لنفوذ الحماية وتوجيهها وتخطيطها، فكان من الضروري ايجاد نوع جديد من المدارس العربية التي تكون نوعا من المثقفين الوطنيين الذين يحسون بمسؤولياتهم ازاء وطنهم والذين يستطيعون أن يعلموا على نموه وتقدمه وتحريره بما يحصلون عليه من ثقافة عصرية موازية للثقافة التي تؤخذ في المدرسة العصرية، وغير خاضعة للهيمنة الاستعمارية، ولقد كان نموذج المدرسة الحرة التي اتجه الوطنيون بتطوان لتأسيسها متطابقا مع نظام وتعليم بضع المدارس بالمشرق التي كانوا مطلعين على برامجها وطرق التربية المطبقة فيها، وذلك أن النموذج المتبع هو خلق المدرسة العربية التي تحافظ على المقومات الروحية للامة وتربي الأجيال تربية اسلامية وتقدم لهم تعليما عصريا على أساس دراسة المواد العلمية الحديثة من حساب وجبر وعلوم فيزيائية وكيميائية وجغرافية وغيرها.

وكانت أول مدرسة حرة أنشئت بتطوان هي المدرسة الاهلية الابتدائية التي أسستها مجموعة من السكان، وقد تولى ادارتها بدون مقابل الأستاذ محمد دواد، وقام بالتعليم فيها عدد من الاساتذة وهم : الحاج عبد السلام بنونة ومحمد بنمخوت وأحمد الفرطاخ والتهامي الوزاني، وتم تدشينها يوم 23 جمادى الاولى 1343 (1925) وكان مقرها الاول بتربيعة الجوزة قرب المكان المعروف بالغرسة الكبيرة، ثم منحتها الحكومة عام 1936 مقرا لها أسفل باب العقلة. وكان أول مدير لها كما تقدم هو الاستاذ محمد دواد، وخلفه في نفس عام توليته السيد محمد بن عبد السلام داود، وخلفه بعد السيد محمد بن عبد السلام بن عبود الذي استقل بهذا العمل عشر سنوات إلى عام 1946 عندما صارت ادارة المؤسسة الى الاستاذ التهامي الوزاني (68).

وأسس الأستاذ عبد الخالق الطريس عام 1935 مؤسسة تعليمية حرة هي مؤسسة المعهد الحر، وتولى بنفسه ادارته، ونص قانون التأسيس على أن المعهد سيكون مدرسة للتعليم الابتدائي والثانوي والعالي، والواقع أن المعهد لم يصل في تطوره إلى مرحلة التعليم العالي، وانما بقي مدرسة ابتدائية ثانوي، وقد تولى ادارته هؤلاء الأساتذة (69) :

(68) La accion cultural 542 - 543

(69) Ibid : 549 - 550

ــ عبد الخالق الطريس
ــ الطيب بنونة
ــ امحمد بن علال عزيمان
ــ محمد الخطيب
ــ محمد بن عبد السلام الفاسي
ــ محمد المسفيوي
ــ التهامي الوزاني
ــ أحمد بنجلون

وفي نطاق الجهود المبذولة في التعليم الحر أسس الخليفة المولى الحسن معهد مولاي المهدي للتعليم الثانوي، وقد افتتحت الدراسة به عام 1940 وقد واصل فيه الشيخ المكي جهوده في مجال المؤسسات التعليمية التي ظهرت قبل هذا في ادارته لمعهد مولاي الحسن، وذلك عندما ترك هذا المعهد ليوجه نشاطه لمجال البحث خاصة، وقد تعاون معه في عمله بمعهد مولاي المهدي أستاذان مصريان هما محمد وهبي وابراهيم عبد العزيز، ثم انضم اليهما مصريان آخران هما محمد حمدي وأمين محمود كما عمل معه في المعهد بعد هذا أساتذة مغاربة واسبان، وكان عدد هؤلاء يزداد كلما عاد أستاذ مصري لبلاده بعد انتهاء مهمته (70).

وهناك مؤسسات أخرى تعليمية عداما تقدم، وهي المؤسسات التي تنتمي للجمعية الخيرية التطوانية وجمعية الطالب المغربية. فالجمعية الخيرية التي أسست عام 1931، أنشأت مدرستين : مدرسة ابتدائية لتعليم البنات، وكان هذا عام 1934، ومدرسة لتعليم البنين وذلك عام 1935 وأسست جمعية الطالب المغربية التي يرجع تاريخها لعام 1932 عدة مدارس ابتدائية، وهي مدرسة مولاي الحسن بحي الأزهر، وتم انشاؤها عام 1946 وأسندت ادارتها للاستاذ محمد العربي الشاوش، ومدرسة الشعب بقاع الحافة، وأنشأت في نفس التاريخ، وقام بإدارتها الأستاذ مصطفى الشعشوع، وقد أغلقت المدرستان فيما بعد، ومدرسة للاعائشة ومدرسة للافاطمة اللتان أسستا عام 1947، وأسندت ادارة المدرسة الاولى للأستاذ محمد الريسوني والثانية للأستاذ عبد السلام الصفار (71).

(70) Ibid : 550
(71) Ibid : 550 - 556

التيــارات الثـقـافيــة

المبحــث الأول : التصــوف :

انتشر التصوف بتطوان وظهرت فيها الطرق الصوفية كما ظهرت في غيرها من المدن المغربية، وهكذا عرفت هذه المدينة الطرق الصوفية الفاسية والناصرية والوزانية والدرقاوية والحراقية والريسونية ان صح أن نسميها طريقة صوفية والكتانية والقادرية والعيسوية والحمدوشية والتجانية والبقالية، وكان أغلب أهل تطوان في الربع الأول من العصر الذي نؤرخ له منتمين لاحدى هذه الطرق (72) على طريقة آبائهم وأجدادهم، ومع أن الانتماء اليها كان كبيرا فان هذه الزوايا لم تكن ذات اشعاع ثقافي كبير، اذ كان أكثر المنتسبين اليها من العامة الاميين الذين لا يستطيعون القيام بأن دور في مجال التثقيف والارشاد والتعبير عن التجربة الروحية في هذا الميدان، ولذلك اقتصر دور الزوايا في هذه الفترة على جمع الفقراء وقراءة الاذكار والرقص الصوفي واحياء حفلات المولد وغيرها من المواسم التي كان الفقراء يخرجون فيها الى الشوارع حاملين أعلامهم راقصين على ايقاع الآلات الموسيقية كالطبل وغيره، ونستثني من هذا الوضع العام الغالب بعض الحالات الخاصة التي نجد أفرادا ممتازين بذكاء أو علم قصدوا زاوية من الزوايا معجبين بها وبشيخها أو بمؤسسها، معتقدين في صميم أنفسهم أن التصوف طريق الخلاص الروحي من الدنيا وأوهامها وزخرفها، طامعين أن تفتح لهم أبواب المعرفة اللدنية، فيشاهدوا الحق ويصيروا من أولياء الله العارفين الصالحين. وينبغي أن نلاحظ أن هؤلاء الافراد الذين وصفتهم لم تجتذبهم كل الزوايا، بل وجدوا ضالتهم المنشودة في زوايا بعينها لسبب مما كان لها من التأثير والنشاط أو بسبب أن الوسط الاجتماعي كان يرشحها فيفضلها، وهذه الزوايا هي الزاوية الحراقية والتيجانية والكتانية والريسونية والقادرية.

والزاوية الحراقية زاوية درقاوية أسسها الشيخ محمد بن محمد الحراق (توفي 1271 هـ) وكان فقيها عالما أديبا نشأ بفاس ودرس بها وصار من نبغاء فقهاء عصره وكان مع ذلك أديبا يحفظ الشعر وينظمه، وانتقل إلى تطوان على عهد السلطان المولى سليمان ليقوم بالتعليم في جامعها الكبير واشتغل مع ذلك

(72) عمدة الراوين 2 : 3 — 4

بالخطابة في جامع العيون وقد كاد له حساده ومنافسوه به كيدا، اذ أدخلوا امرأة عاهرا إلى مقصورة الجامع وقت الخطبة ليوهموا العوام أن الفقيه أدخلها وأنه كان على ريبة معها، فضج الناس، وعزل الحراق عن الخطبة ولم يفصل عن التدريس، فمرض لهذه النكبة، ثم مال للتصوف فأخذ الطريقة عن الشيخ محمد العربي الدرقاوي الذي وجهه إلى تطوان ليكون شيخ فقرائها، وكان يجمعهم عليه في المسجد الجامع (الجامع الكبير) حيث كان يدرس فكانوا يرفعون فيه أصواتهم بالذكر وانشاد الشعر الصوفي والرقص عند ذلك، فغاظ ذلك زعيم فقهاء المدينة وقاضيها المدرس بنفس الجامع الذي كان يغار — فيما يظن — من الحراق الذي نازعه في المسجد الأعظم، فخرج من المقصورة ذات يوم وبيده عصا الخطيب فطفق يضرب الفقراء وهم يرقصون (73). فعند هذا أمر الشيخ أصحابه باتخاذ زاوية، وانتدب لهذه الغاية أحد أصحابه الفقير توكورت المدفون الى جانب الشيخ في الزاوية الحراقية فتبرع بأموال كانت له، لبناء الزاوية التي توجد الى الآن عند باب المقابر بتطوان (74)، وقد تم توسيعها واصلاحها بعد ذلك مرات.

والطريقة الدرقاوية التي تفرعت عنها الحراقية طريقة شاذلية، وهي الطريقة التي غلبت على أهل المغرب، ولم تقف أمامها قادرية ولا غيرها، وكانت طريقة الصوفية قبل ظهور الامام الشاذلي تقوم على الزهد والتقشف والعزلة والخمول، فلما كان الشاذلي غير ذلك وجاء بطريقة الشكر وتنعم بالملابس والمراكب، وكان له مناد ينادي في موكبه «من أراد أن يشاهد القطب فليات» وقد انتقده، بعض الصوفية علي ترك الزهد وخشونة الملبس، فقال له رجل منهم كان يلبس المرقعات حين راه في ملابس فخمة تفوح منها روائح الطيب : «ما هذه الملابس يا أبا الحسن ؟! فقال له : ملابسك تقول للناس أعطوني ما عندكم ! أما ملابسي فتقول : انني في غني عنكم !!» ثم ان الشاذلية في نفسها انقسمت إلى قسمين : قسم اتجه أهله إلى طريق التخلية، فسلكوا طريق الزهد والتقشف على ما كان عليه السابقون من اطراح الدنيا والإعراض عن نعيمها، وقسم اتجه أهله وجهة الشاذلي في اصلاح الباطن دون تخريب الظاهر واشتغلوا بالعمل للدنيا والآخرة، اذ بالامكان أن يتوجه جميع الخلق الى ربهم لو أرادوا ذلك مع بقاء أسباب الحياة قائمة كما فرضتها سنة الله في خلقه، فللتاجر أن

(73) الزاوية : 172

(74) نفس المصدر : 174

يواصل عمله في التجارة وللزارع أن يزرع، ولكل ذي عمل دنيوي أن يقوم به، وهو مع ذلك قادر على أن يسير في طريق أهل العلم والذكر، وماذا يضره أن يقول : «الجسد في الحانوت والقلب في الملكوت» فكانت طريقة الشاذلي هذه ثورة على ما تواضع عليه الناس حتى أصبح اسم الصوفي مرادفا لاسم البطال الذي لا يحترف ولا يعمل، ويطلب من الناس أن يرزقوه، وكانت طائفة المتكسبين بتقشفهم ضررا على الصوفية والمتصوفة، فلم يرعهم الا أن فتح الشاذلي الباب على مصراعيه وضرب من نفسه ومن أصحابه مثلا، فأدرك المسلمون أن الطريق الموصل إلى الله ليس حبسا على أصحاب المرقعات ولا وقفا على المنقطعين عن العمل، بل انه سهل ميسور لكل أحد، وكما ثار على التقشف ثار كذلك أيضا على كثرة الاوراد والوظائف، وقد سأله أحد أتباعه فقال له : ياسيدي وظف على وظائف أقوم بها، فأجابه الشاذلي، «أرسول أنا ؟! ان كتاب الله يتلى وسنة رسوله تقرأ، فانظر فيما أمرا به فائتمر به، وما نهيا عنه فانته عنه» (75).

وكانت طريقة الشيخ الدرقاوي مزيجا من الطريقتين، فكان يوجه بعض أصحابه للزهد والتقشف والتجريد، وسمح لطائفة منهم أن تستمر على ما كانت عليه، ومن هذه الطائفة الأخيرة الشيخ الحراق الذي لم يزد الشيخ الدرقاوي عندما التقى به على أن قال له «اذكر وذكر» ومن الملاحظ أن بعض شيوخ الزاوية الحراقية ومن شيوخها ادريس الحراق كانوا يمزجون بين الطريقتين كما كان يفعل الشيخ العربي الدرقاوي (76).

وقد ترك الشيخ الحراق آثارا أدبية وفقهية منها ديوانه الشعري المطبوع الذي يضم قصائد معربة وملحونة في أغراض التصوف والتي نحافي بعضها منحى ابن الفارض في العشق وأحوال العاشقين، وكان هذا الشعر ينشد ويلحن في حياة الشيخ ويرقص عليه، ولا يزال فقراء الزاوية يجتمعون لهذه الغاية فيقرأون الاذكار ويتناشدون الاشعار على الانغام والاوزان الموسيقية، وفي طليعتها أشعار الشيخ التي تمتاز بالعذوبة والبساطة والتنوع والاطراب.

وللزاوية الحراقية بتطوان سمات وخصائص ينبغي ذكرها، وقد استمرت الى عصرنا هذا أولها : أن الطبقة (الارستقراطية) التطوانية لم تنخرط فيها اذ

---

(75) الزاوية : 143

(76) نفس المصدر 143 . 144

كان المنتمون لهذه الطبقة يفضلون الطريقة الريسونية ويعادون الدرقاوية وفروعها أو يقفون منها موقفا سلبيا ولهذا شقت الدرقاوية طريقها بين سكان البوادي دون سكان مدينة تطوان، وظل كذلك حالها حتى انتمى اليها الشيخ الحراق الذي كان له جاه وعلم، فقل عداء التطوانيين لها، وأما عامة الناس وفقراء المدينة فكان هواهم مع الطريقة العيسوية (77).

ثانيها : أن الزاوية الحراقية كانت زاوية لانشاد الشعر والتغني به والرقص الصوفي فكانت تنشد بها أشعار ابن الفارص والششتري والحراق وغيرهم من شعراء التصوف، وكانت مفاهيم ومغازي ذلك الشعر الصوفي من أساليب التربية بهذه الزاوية.

ثالثها : أنها كانت مدرسة للموسيقى ذلك أن الشيخ الحراق كان يحب الغناء والموسيقى، ويطرب طربا شديدا عند الانشاد، ويرقص عند ذلك ويجمع حوله من اشتهر باتقان فن الآلة الأندلسية المغربية ويتخذهم بطانته وأصحابه، واستمر ذلك الى أيام الشيخ ادريس الحراق (ت 1353 هـ ـــ 1934 م) الذي كان من أقطاب هذا الفن، فكثرت الآلات الموسيقية بالزاوية وكثر المولعون بهذا الفن بين المريدين والفقراء حتى أشبهت مدرسة من مدارس الغناء والموسيقى.

رابعها : أن بعض الذين انتموا اليها ممن أخذوا حظا من التعليم كانوا يتدارسون بها كتب القوم (الصوفية) ولا سيما كتب ابن عربي، ويتعمقون في أسرار التصوف، ويربطون بذلك بين ماضي التصوف وحاضره، محاولين استبطان مغازي الاصطلاحات الصوفية في الاحوال والمقامات (78) وكان من بين هؤلاء في الفترة التي نؤرخ لها الفقيه العربي وعبد السلام غيلان والفقيه محمد الركيك وانضم اليهم الاستاذ التهامي الوزاني، وكانت بالزاوية خزائن للكتب تجمع كل العلوم والفنون، وكان شغل الملازمين من الفقراء إما حفظ قصيدة من كلام أعيان الصوفية أو تعلم وتعليم دور غناء أو الاكباب على المطالعة والدرس (79).

خامسها : أن من تراثها الذي تحافظ عليه آثار الشيخ الحراق الادبية، فهناك الديوان المعتمد عندهم في حلقات الذكر والانشاد والتعليم وهناك

(77) الزاوية : 119
(78) نفس المصدر : 67 ـــ 68 ـــ 93 ـــ 94 ـــ 101
(79) الزاوية : 148

الرسائل التي كتبها الى عدد من المريدين ورجال العصر، وفيها نظرات صوفية وخواطر قلبية وتوجيهات علمية، وهناك أقواله التي عدت من الحكم، وهناك تقاييده على الآيات والاحاديث وهناك شرحه على الصلاة المشيشية وشرح الحزب الكبير للامام الشاذلي، وشرح الحكم العطائية، والفتاوى الفقهية، لكن هذه الآثار لا توجد كلها أو أكثرها الا بيد أفراد لا يتجاوز عددهم رؤوس الاصابع، فالعامة يجهلونها، وأكثر الخاصة لا علم لهم بها.

سادسها : أنها قامت على إطعام الطعام للفقراء، الذين كثيرا ما كانوا يتناولون فيها الشاي والحلوى على أنغام الموسيقى والشعر، كما كان يأوي اليها المنقطعون والغرباء، وكانت ملتقى أصناف الناس، الفقراء والاغنياء والحاكمين والمحكومين، على أن العنصر البدوي الجبلي هو العنصر الذي كانت تزخر به جنباتها، وهو الذي ظل يدعمها ويشد أزرها.

سابعها : أن الزاوية اجتذبت اليها العنصر النسوي، فكان النساء يقصدونها ويحرصن على حضور أوقات (العمارة) فيها.

ثامنها : أنه كانت لها علاقات ثقافية بغيرها من الزوايا بالمغرب، ولا سيما الزوايا الفاسية والمكناسية، فكان أهل هذه الزوايا يقصدون تطوان للمشاركة في مواسمها وحفلات المولد التي كانت تقيمها، وكان شيوخها والمنتمون اليها يرحلون كذلك الى فاس ومكناس لمشاركة أهل تلك الزوايا أفراحهم وأتراحهم وخاصة في المواسم الصوفية التي تعقد بها.

ولم يكن أكثر فقهاء تطوان في هذا العصر راضيا عنها ويرجع سبب هذا لما اشتهر به فقراؤها من الاقبال على الغناء والطرب والرقص الصوفي فكانوا لذلك يجاهرون بعداوتهم لها وتحذير العامة منها وفي مقدمة هؤلاء الفقيه أحمد الرهوني الذي كان كثير الانكار عليها، وكان الشيخ ادريس الحراق يرد على ذلك وينعت خصومه وخصوم زاويته بالجمود. وكانت العلاقة بين هذه الزاوية والزوايا بتطوان خاضعة لحكم المنافسة، ولهذا كان الشيخ المذكور دائم التذكير بأفضلية زاويته التي تجمع الفقراء على الذكر والتذكير والطعام في حين أن الزوايا الاخرى لم تكن كذلك كما أن فقراء هذه الزوايا كانو لا يذكرون زواياهم الا عند الفراغ من أشغالهم (80).

---

(80) الزاوية 106 — 111 — 137.

والزاوية الريسونية هي الزاوية التطوانية التي أسسها الشرفاء الريسونيون اليونسيون العلميون في القرن الثالث عشر الهجري، وفي هذا القرن كان الدرقاويون هم الذين يقومون على أمر التصوف في المدينة ونواحيها على يد الشيخين أحمد بنعجيبة (ت. 1234 هـ ــ 1809 م) ومحمد الحراق (ت. 1971 هـ) فلما أحدثت هذه الزاوية صارت الدرقاوية تعاني منها ومن تصدي رجالها ومن انضم اليهم من الطبقة الارستقراطية والحاكمة، وكانت محنة الشيخ أحمد بنعجيبة من مظاهر هذا التنافس الحاد بين الحركتين الريسونية والدرقاوية، ومظهرا كذلك لتدخل الدولة في مراقبة النشاط الصوفي. والريسونيون ينتمون بنسبهم للشيخ عبد السلام بن مشيش المدفون بجبل العلم، وكان لسلفهم قدم في الدعوة الى الجهاد واستنفار المجاهدين لحرب البرتغاليين أيام الدولة السعدية وقد تحولت في تلك الفترة قرية تزروت مقر الزاوية الريسونية القديمة الى رباط لجمع وتدريب القبائل الجبلية والغمارية، ولما انتصر المغاربة في وقعة وادي المخازن على نصارى البرتغال أقطع المنصور السعدي (ت. 1012 هـ ــ 1603 م) الأرض التي جرت عليها المعركة بنواحي القصر الكبير وأحواض الوادي جنوبا وشمالا وشرقا وغربا الى ثلاثاء ريصانة للشيخ محمد بن علي بن ريسون، وقد ورث أهل ريسون بعده تلك الأرض خلفا عن سلف أيام الدولة العلوية التي كان ملوكها على علاقة طيبة بهذه الزاوية.

والذي بنى زاويتهم بتطوان هو الشيخ الصوفي أبو الحسن علي بن محمد بن ريسون[81]، وكان يسكن بقرية تزروت التي ولد بها عام 1158 هـ، وكانت له معرفة بعلوم مختلفة ومن جملتها علم الموسيقى واستعمال آلات الطرب، وسبب دخوله تطوان أنه لما اقتربت وفاة الشيخ عبد الله البقالي المتوفى بتطوان عام 1207 هـ ــ 1792 م بعث اليه يطلب منه الحضور ليعينه على أمر هذه البلدة، فدخلها، ومازال يتردد بينها وبين تازروت إلى وفاته عام 1229 هـ 1813 م وأثناء مقامه بتطوان نفذ له السلطان فندق لوقش المقابل لجامع الرابطة، وكان يباع فيه الجلد، ليبني فيه زاويته التي دفن بها عند وفاته[82]، وقام على أمرها بعده ابنه الشيخ السيد عبد السلام الذي وسعها وأكمل بناءها عام 1274 هـ ــ 1857 م ثم وسعت الزاوية بعد ذلك بالزيادة التي زادتها بنات الحاج عبد الكريم بريشة عام 1316 هـ ــ 1898 م، والمارستان الذي أضافه

(81) انظر ترجمته في عمدة الراوين 5 : 81 ــ 89 ومختصر تاريخ تطوان : 301.

(82) عمدة الراوين 2 : 8 ــ 9.

اليها الحاج العربي بن الحاج محمد الدفوف أوائل عام 1351 هـ ـــ 1932 م بعدما اشتراه من أحباس المنقطعين (83).

وقد ولد الشيخ عبد السلام بن ريسون (84) بتطوان عام 1215 هـ ـــ 1800 م ودرس بها وحفظ القرآن، ومن العلوم التي قرأها التفسير والحديث والفقه والسيرة والطب والموسيقى، وتلقى بعض تلك العلوم بقرية تازروت، وتميز بخصال فاضلة وشمائل كريمة حببته الى الناس، وكانت تعتريه حالات جذب، ثم استقام أمره على الصحة ومخالطة الناس والعناية بالشؤون الاجتماعية، وكان أصحاب السلطة والنفوذ من السلطان وغيره يستشيرونه وياخذون برأيه ويجلون منزلته، كما كان الناس يعتمدون كلامه في قضاياهم ويعرضون عليه المرضى طالبين أن يصف لهم دواء، وكان ماهرا في صناعة الطب القديم، فكانت وصفاته نافعة مفيدة، وكانت لهذا الشريف مجالس علمية تعقد بزاويته، يحضرها كبار فقهاء تطوان، ويشارك فيها عدد من العلماء الزوار الذين كانو يحلون بتطوان، فكانت تجري بها مناقشات علمية وتدرس كتب في السيرة النبوية وعلوم القرآن والحديث وغيرها في جو من الانشراح والسكينة والوقار والاحترام، ومن فقهاء تطوان الذين كانوا يحضرون مجالسه الفقيه محمد بن علي عزيمان وشيخ الجماعة أحمد بن محمد السلاوي والعلامة المفضل بن محمد أفيلال الحسني العلمي والفقيه محمد بن أحمد البقالي وغيرهم، وممن حضر مجالسه من علماء فاس العلامة عبد الهادي بن أحمد الصقلي الحسيني، والعلامة محمد بن جعفر الكتاني الحسني وشيخ الطريقة عبد الكبير بن محمد الكتاني الحسني والعلامة أحمد بن الخياط الزكاري الحسني وغيرهم (85).

وكانت له مجالس للموسيقى التي ازدهرت بهذه الزاوية في عصره كما ازدهرت بالزاوية الحراقية، وكان يجتمع حوله أقطاب هذا الفن بهذه المدينة التي كانت من المدن المغربية التي قامت على احياء التراث الموسيقي الاندلسي في مجال الطرب والغناء، وكانت الموسيقى من اكد شروط الطريقة الريسونية لا يستغنون عنها، ومن المطربين الذين كانوا يحضرون مجلسه الشريف محمد النبخوت ومحمد بن محمد الخطيب ومحمد الرباج امام الجماعة وعبد الكريم بن المهدي بنونة والعربي بن أحمد الخمار وأحمد ابن عبد السلام ويدان وأخوه

(83) نفس المصدر والصفحة.

(84) ترجمه الرهوني في عمدة الراوين 5 : 110 ـــ 165

(85) عمدة الراوين 5 : 114 ـــ 116 ـــ 123 ـــ 124

امحمد وأحمد بن عبد اللطيف الجزائري [86]، وكان الشيخ السيد عبد السلام شرع في اختراع آلة يقال لها القانون، ثم عدل عن ذلك وقال : «القانون لا يكون بالمغرب» كما اخترع الصندوق الوتري الموسيقي الذي سماه السلاكة، وآلة موسيقية سماها محسن النغم، وهي عود في شكل القيشار الاسباني ذو وتر واحد، وجلب له (البيانو) من أوربا [87] وكان المنشودون بين يديه يعقدون مجالس بزاويته لقراءة الهمزية بحضور العامة والخاصة، بأنغام لطيفة وأصوات حسنة عذبة، يقرأون كل جمعة منها خمسا ويتمونها في خمس جمع، ويستمر المجلس من العصر الى المغرب [88].

وكانت لهذه الزاوية أوراد وأذكار وقصائد ملحونة لمؤلفها الشيخ محمد بن علي، تنشد في بعض المواسم التي تقيمها الزاوية وخاصة أيام المولد، لكنها ليست أورادا تلزم الآخذين لها، بل لم يكن لهذه الزاوية فقراء ومريدون على الشكل الذي عرفته الزوايا، وانما كان للشيخ السيد عبد السلام أصحاب في حياته، وترك للزاوية بعده ذكرا وشهرة وتجاوبا عاطفيا مع بعض بيوتات تطوان لا يزال أفراد منهم يحضرون مواسم الزاوية كالمولد وغيره، معتزين بأن هذه الزاوية هي زاويتهم.

وعليه فان تراث هذه الزاوية يرجع إلى هذه الامور :

1. التاريخ الذي رشح هذه الزاوية للقيام بدور في أيام السعديين والعلويين.

2. أنها قامت على رعاية التراث الصوفي والموسيقي ومهمة العناية بعلوم الدين.

3. أنها وان كانت زاوية العامة والخاصة فان الخاصة هم الذين أيدوها وزكوها اذ كانت واسطة بينهم وبين المخزن، كما أن بعض هؤلاء الخاصة وصل إلى التعيين ببعض وظائف الدولة عن طريق ترشيح شيخها لهم لشغل تلك المناصب [89].

---

(86) نفس المصدر 5 : 124 — 125

(87) الذكرى المائوية والمدرسة الموسيقية للسيد صفحة 40 — 41

(88) عمدة الراوين 5 : 122 — 123

(89) الذكرى المائوية، صفحة 32

والتيجانية هي الزاوية التي أسسها الشيخ الصوفي أحمد بن محمد التيجاني المولود بعين ماضي عام 1150 هـ ـــ 1737 م وهي واحة في صحراء الجنوب الجزائري، وقد نشأ بها وحفظ فيها القرآن وغيره ثم هاجر للقاء العلماء والصلحاء والاخذ عنهم ودخل فاسا وغيرها من بلاد المغرب، ورحل الى الشرق حيث أدى فريضة الحج، وأخذ عن عدد من مشايخ الصوفية، وكانت له رغبة قوية في أن يصير واحدا من كبار شيوخ التصوف، ومازال على هذا الحال من الجد والكد إلى أن أسس طريقته، وصارت له أوارد يلقنها وكثر أتباعه، ويوجد مريدو هذه الطريقة اليوم بالمغرب وشمال افريقيا وافريقية الغربية وغيرها، ويوجد مقر زاويته بفاس التي دخلها عام 1203 هـ وقد رحب به السلطان المولى سليمان وأكرمه وأعطاه الدار التي تعرف بدار المرأة [90]، وبعد سنة من مقامه بهذه المدينة أخبر مريديه أنه بلغ درجة القطبانية التي هي أعلى مقام يبلغه الاولياء، ثم أخبر بعد أن بلغ درجة ختم الولاية التي هي أعلى مقام يبلغه أقطاب الصوفية، وخلال هذه الفترة بنى زاويته التي صارت من أكبر زوايا المغرب، وقد اختلفت الآراء في سبب هجرته الى فاس واستقراره بها فذهب الناصري [91] إلى أن ذلك راجع الى كون الشيخ اضطهد من قبل أتراك الجزائر، فخرج الى المغرب لاجئا، وعللت المصادر التيجانية ذلك بأنه انما دخل المغرب ليوسع دائرة الانتفاع به والاخذ عنه، وذلك لان طريقته كانت انتشرت في جنوب الصحراء بعدما أقام مدة في المكان المعروف بقصر أبي صمغون، فرغب في أن ينشر تعاليمه في جهات أخرى لكسب مزيد من الاتباع [92]، وكذلك اختلفت الاراء في سبب ترحيب السلطان المولى سليمان به عندما دخل فاسا، وذلك لأن هذا السلطان كان يميل للحركة السلفية الوهابية التي ظهرت بالمشرق وهي حركة مناوئة للتصوف، وقد كتب السلطان خطابا وجه الى مختلف النواحي يهاجم فيه البدع والمبتدعة وينكر على الصوفية بدع المواسم، فكان المنطق يقتضي أن لا يعامل الشيخ التجاني تلك المعاملة الحسنة، وأن لا يشجعه على بناء زاويته، ولا يأذن له في تألف المريدين ولقائهم واحتفالهم، وقد فسر المؤرخ طيراس وغيره هذا السلوك برغبة السلطان المغربي في استعمال الطريقة التيجانية

(90) البغية 134

(91) الاستقصا 8 : 104 ـــ 105

(92) البغية : 134

كأداة لمواجهة طرق صوفية أخرى أقدم منها (93). ويرى الدكتور ابراهيم حركات أن هذا ربما يرجع إلى أحد أمرين :

1. أن السلطان تعاطف مع الشيخ التيجاني وأعانه ماديا ضمانا لتأطير حركته وحصر امتدادها بالمغرب داخل العمل الديني حسب تعاليم السنة وأوراد الشيخ المؤسس.

2. أن يكون اعتقاد المولى سليمان بتعاليم الشيخ انبنى على كونه يمنع التوسل بالاولياء وزيارتهم لجلب نفع أو ضرر، وهذا يوافق المنهج السليماني في محاربة الاضرحة والمواسم التي تقام بها (94).

وعلى الرغم من معارضة كثير من علماء فاس للطريقة التي أنشأها فإن الشيخ واصل نشر تعاليمه داخل فاس وخارجها متمتعا بحماية السلطان وعطفه، والمصادر الأساسية للطريقة التيجانية هي الكتب الثلاثة التي كتبت في حياته وهي من انشاء تلاميذه :

1. كتاب جواهر المعاني تأليف أبي الحسن على احرازم بن العربي برادة الفاسي المتوفي في حدود سنة 1218 موافق 1803 بالمدينة المنورة (95).

2. كتاب الجامع لما افترق من العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، تأليف محمد ابن المشري القسنطيني المتوفى عام 1224 هـ — 1809 م، وهو الذي كان يقوم مقام الشيخ في الرسائل والاجوبة (96).

3. كتاب الافادة الاحمدية لمريد السعادة الابدية، تأليف محمد الطيب السفياني 1259 هـ 1843).

وتراث هذه الطريقة يظهر من خلال النقط الآتية :

1. كونها طريقة يعتقد أصحابها أنها أسمى طريقة صوفية موجودة، لأن مؤسسها هو القطب وخاتم الولاية المكتوم، الذي تلقى أوراده وطريقته مباشرة عن الرسول ﷺ لا عن ولي آخر، ومن ثم لا يجوز للفقير المنتمي لهذه الطريقة أن يخرج منها ولا أن يبتغي شيخا آخر.

---

(93) Histoire du Maroc 2 : 312 - The tijonyya : 21

(94) المغرب عبر التاريخ 3 : 558

(95) انظر كشف الحجاب : 68 ودليل مؤرخ المغرب الاقصى 1 : 203

(96) كشف الحجاب : 149

2. أن هناك أورادا معلومة يلتزم بها المريدون مرتبة عليهم في أوقات معينة، ولا يجوز لهم التخلي عنها لسبب من الأسباب، وتتكون الاوراد المذكورة من الاستغفار مائة مرة، والصلاة على النبي مائة مرة، والأفضل أن يكون ذلك بلفظ صلاة الفاتح، والتهليل مائة مرة، ثم يختم موفيا المائة بمحمد رسول الله، فهذا هو أصل الاوراد التيجانية، ثم أضيفت بعد ذلك اليها أوراد أخرى (97)، وهذه الاوراد لا يأخذها المريد الا بإذن من يكون بيده أمر الطريقة من المقدمين، والاوراد المضافة تسمى عندهم وظيفة (98)، ولا عزلة في هذه الطريقة ولا خلوة الا أن يرى الشيخ أو المقدم أن هذا قد يدفع عن المريد بعض العوارض المادية التي تعوقه عن كماله الروحي فيأمره بها (99).

3. أقوال الشيخ ورسائله التي تقدم أن تلميذه محمد بن المشري هو الذي تولى تحريرها وما روي من كراماته، وهي تملأ الكتب التي دونت في مناقبه.

4. ما بين المنضوين تحت لواء هذه الطريقة من التواصل بمختلف الطرق داخل المغرب وخارجه، ويتم أكثر هذا التواصل في نطاق الزاوية التي يجتمع فيها المريدون لقراءة الأوراد، وكثيرا ما يستقبلون فيها زائرا قادما من بلاد أو مدينة بعيدة، فيكون ذلك سببا في معرفة الاخبار وتبادل الآراء والاتفاق على المواقف، وقد زاد هذا التواصل حاليا بتأسيس جمعية رابطة علماء المغرب والسينغال.

وتوجد بتطوان زاوية تيجانية، بناها أصحاب الشيخ بها في حدود عام 1320 ـــ 1902 م في الضريح المبني على السلطان المولى ابراهيم بن اليزيد العلوي بدرب الشرتي من زنقة المقدم، ووسعوها بعد ذلك فأدخلوا فيها دار ابن عودة حوالي عام 1325 هـ ـــ 1907 م ثم زادوا فيها دار الزكاري حوالي عام 1339 هـ ـــ 1920 م، وهي من الزوايا التي تقام فيها الصلوات الخمس، ويقرأ فيها التيجانيون أورادهم ووظائفهم على ما هو معتاد عندهم.

وقد انتمى الى الطريقة التيجانية من أهل الفقه والاشتغال بالعلم أشخاص أفراد منهم الفقيه أحمد الرهوني، والفقيه محمد الفرطاخ، والفقيه القاضي محمد

---

(97) الجيش الكفيل 200 ـــ 204

(98) البغية : 19 والجيش الكفيل : 200 ـــ 203

(99) البغية : 20 ـــ 21.

اللبادي والاستاذ المدرس عبد السلام بلقات والفقيه الاديب البشير أفيلال، وممن عرف من أهل هذه الطريقة أحمد اللواجري ومحمد بن عجيبة مقدم الزاوية.

وقد ذكر الرهوني أنه أخذ الطريقة التيجانية عن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني بطنجة عام 1322 هـ أي بعد سنتين من بناء الزاوية بتطوان، ثم تجرد لقراءة الورد التيجاني مقتصرا عليه وقراءة المؤلفات التي وضعها التيجانيون في طريقتهم والذكر مع الاخوان بزاويتهم، ثم لقي بطنجة الشيخ أحمد بن قاسم جسوس الرباطي (ت. 1332 هـ ـــ 1913) فأذن له في الطريقة بسنده الى الشيخ التيجاني، ثم ان الشيخ الفقيه الحاج محمد كنون كتب له اجازة بطلب من مقدم الزاوية محمد بن عبد الله بن عجيبة تضمنت تقديمه على تلقين الاخوان الاذكار والمذاكرة معهم في (البغية) للعربي السائح وغيرها [100] ثم ان الخليفة التيجاني عبد الله بن الحاج الشنقيطي الملقب بالفيضة اطلع على التقديم المذكور، فكتب له اذنا على غرار اذن كنون المذكور بطنجة، وذلك عام 1326 هـ ـــ 1908 م ثم تلقى الطريقة كذلك عن محمد بن عجيبة المذكور في حدود عام 1340 هـ ـــ 1921 م [101].

وكان الفقيه الرهوني من أكبر المدافعين عن هذه الطريقة والمساندين لها بتطوان، سخر لها لسانه وقلمه، فأنشأ خطبا في التعريف بها والاشادة بتعاليمها، ونظم قصائد في مدح الشيخ والتعلق به، وعادى في سبيلها وسالم، وألف عنها كتاب : «تعريف المحب الفاني وأنيس الفقير الجاني بمختصر من سيرة الختم القطب مولانا أحمد التيجاني» وهذا الكتاب هو من كتبه التي جعلها ضمن كتابه عمدة الراوين [102].

وكان هذا سبب العدواة الشرسة التي اشتعلت نيرانها بينه وبين الدكتور محمد تقي الدين الهلالي عندما نزل هذا الاخير بتطوان خلال الاربعينات كما سأشير اليه فيما بعد.

والزاوية القادرية هي الزاوية التي نشأت عن تعاليم الشيخ عبد القادر بن موسى الجيلاني (ت. 561 هـ ـــ 1165 م) وجيلان بالكسر اسم لبلاد كثيرة

---

(100) عمدة الراوين 10 : 37

(101) عمدة الراوين 10 : 34 ـــ 38

(102) نفس المصدر 10 : 79 ـــ 80

من وراء طبرستان والنسب اليها جيلاني وجيلي، وقد فرق قوم بينهما فقالوا : اذا نسب الى البلاد قيل جيلاني، واذا نسب الى رجل منهم قيل جيلي، والعجم يقولون كيلان وكيلاني (103) ويقال لهذه البلاد أيضا بلاد الديلم، وكانت من أجمل ولايات فارس، وكان الشيخ عبد القادر من كبار علماء جيله، معروفا بالفضل والاستقامة والحرص على الدين والقيام بالنصيحة وبيان أحكام الشريعة وكان ميلاده بقرية نيف، وأخذ بها مبادئ الدين والعربية ثم رحل الى بغداد، وقرأ في مدارسها على أعلام، حتى صار من كبار الفقهاء والعلماء والوعاظ، وصار يتكلم في ثلاثة عشر فنا من التفسير والحديث والفقه وغيرها، وأفتى على مذهب الامامين الشافعي وأحمد بن حنبل، مع أنه كان حنبلي المذهب، وتصدر للتدريس والنفع وأخذ منه خلائق كثيرون، وكان عمادته في التصوف أبو الخير حماد بن سلمة الدباس (ت. 523 هـ ــ 1091 م) لازمه أكثر من خمسة وعشرين عاما على سبيل نزع الارادة، ثم بدأ حياة التصدر للمشيخة وتربية المريدين، فقضى نحو أربعين عاما على هذا النحو حتى توفي عام 561 هـ كما تقدم عن تسعين عاما (104).

وكتب الشيخ عبد القادر مؤلفات منها كتاب «الغنية لطالب طريق الحق» و«الفتح الرباني»، «وفتوح الغيب» و«الفيوضات الربانية»، وله كذلك شعر يروى وأوراد وأذكار وألف الناس في مناقبه وطريقته (105).

وقد انتشرت الزوايا القادرية في العالم الاسلامي شرقا وغربا بحيث لا تكاد تجد بلدا اسلاميا لم تدخله هذه الزاوية (106).

وتنتشر بين سكان منطقة جبالة ــ وعاصمتها تطوان ــ حكايات تقول بأن الشيخ عبد القادر هو قطب المشرق وأن الشيخ عبد السلام بن مشيش هو قطب المغرب، وكانوا يعتبرون انفسهم ــ مع ذلك ــ جيلانيين أو (جيلاليين) رغم عدم وجود زوايا قادرية في نواحيهم، فانتماؤهم للطريقة من هذه انتماء مذهبي عقدي، وليس انتماء لزاوية بعينها، ولهذا لا تكاد توجد قرية جبلية تخلو من وجود (خلوة) للشيخ عبد القادر الجيلاني، و(الخلوة) عندهم عبارة عن

---

(103) معجم البلدان 5 : 201

(104) نتيجة التحقيق : 33 ــ 44

(105) الزاوية القادرية : 93 و 108 ــ 110.

(106) Encyclopedie de lislam : 397 — 399

أحجار مركومة يزورها النساء لقضاء الاغراض، ويوقدون عندها الشموع ويربطون عندها الرقاع [107].

وتوجد في نواحي الشمال زوايا قادرية بالمدن منها زاوية تطوان التي تعرف باسم زاوية مولاي عبد القادر، وكانت في الاصل مسجدا، تقام فيه الصلوات الخمس، ثم صارت زاوية لاتباع الشيخ عبد القادر [108] وهي واقعة في حي الاترنكات.

وفي وصف شيخها الحالي السيد عبد الحي القادري مكانة هذه الزاوية وطبيعة العلاقات التي كانت تجمع المريدين وأنواع نشاطهم، فقال : «زاوية هذه العاصمة التطوانية هي أكبر الزوايا الاخرى الموجودة بمدن المنطقة وأجملها بناية وأحسنها تأثيثا وموقعا، وأتباعها أكثر المريدين عددا اذ يفوق عددهم الالفين من بين المدنيين أصحاب المتاجر والحرف والصنائع والموظفين والطلبة والعسكريين ضباطا وجنودا تربطهم رابطة دينية أخوية وثيقة...، اذا اجتمعوا لذكر الله يتأدبون حتى تحسب كأن على رؤسهم الطير، واذا اجتمعوا خصوصيا تحسب جماعتهم التي تفوق دائما المائة اخوة أشقاء... يقومون بأداء واجب تشييع جنازة بعضهم وحضور الأعراس والعقائق، ويعينون ضعفاهم.. يهادون الشرفاء في كل المناسبات، يحتلفون بكل الاعياد الدينية خصوصا ليلة المولد النبوي وسابعه... يطعمون فهما الطعام، يحيون ليلتهما بالاذكار (وقراءة) السيرة النبوية... وكذا يفعلون في الاحتفال بليلة ميلاد شيخهم... وكذا في ليلة المعراج والاسراء وليلة القدر.. كل هذه الصوائر من مالهم الخاص [109]».

ثم ذكر المؤلف ثمانية عشر شخصا ممن يخدم الزاوية ويواظب على الحضور اليها في مختلف الأوقات [110].

وكانت هذه الزاوية قبل عام 1322 هـ ــ 1904 م تدار من قبل عامة فقرائها الذين كانوا يشرفون عليها ويجتمعون بها بواسطة مقدم لهم، ولم يكن بالمدينة أحد ينحدر من سلالة الشيخ عبد القادر الجيلاني ، فلما كان العام المذكور دخل المدينة شريف قادري هو الشيخ محمد بن عبد الهادي الذي

---

(107) Cofradias religiosas : 7

(108) عمدة الراوين 7 : 121 و2 : 13

(109) بستان الاصاغر : 118.

(110) نفس المصدر : 119 ــ 120.

استقر بتطوان في العام المذكور، وكان أول الامر يدعو للطريقة الكتانية التي كان قد التقى بشيخها محمد بن عبد الكبير بفاس وتتلمذ له، وانتمى لطريقته، ثم بعدما أقام بتطوان فترة من الزمن أخذ يهتم بشؤون الطريقة القادرية ويصلحها، وتولى نظارتها بظهير عزيزي شريف، ثم بعد عامين من تولي هذا المنصب استقال منها، واشتغل بالتجارة في الكتب والمنتوجات المغربية، وكانت ولادة هذا الشيخ بمدينة شفشاون عام 1284 هـ ـــ 1867 م وتوفي عام 1339 هـ ـــ 1920 م وقد حلاه ابنه في (بستانه) بالشريف البركة النزيه الفقيه المحدث الاديب، الشاعر المفلق، وذكر أنه كان يحفظ ثلثي مقامات الحريري عن ظهر قلب، وأنه ألف كتبا في الطريقة الكتانية وترجمة مؤسسها ونفي إستخلاف هذا لشقيقه، وأنه كانت له خزانة كتب نفسية [111].

وقد ترك الشيخ محمد بن عبد الهادي عددا من الابناء منهم الشيخ الحالي للزاوية السيد عبد الحي الذي ولد بتطوان عام 1334 هـ ـــ 1916 م وهو فقيه عالم أديب مؤلف، تولى القضاء، وكتب عدة مؤلفات أدبية وتاريخية، ودون مقالات في مختلف الاغراض، معروف بدماثة الخلق وحسن السمت، ومن مؤلفاته:

ـــ بستان الاصاغر والاكابر في ترجمة الشيخ عبد القادر ـــ طبع عام 1940.

ـــ الاستقلال والحرية بفضل سيدي محمد الخامس رمز الدولة العلوية ـــ طبع سنة 1956

ـــ جلال المجد التليد في القران الخليفي السعيد، طبع سنة 1949.

ـــ الزاوية القادرية عبر التاريخ والعصور ـــ طبع سنة 1986.

ومن مؤلفاته التي لم تنشر كتاب :

ـــ الجامع العام في تصوف الاسلام ورجاله الاعلام.

ـــ حجة الموحدين لابطال دعوى المتوهبة الجاحدين

ـــ اتحاف الصحب والاخوان بمن عاصرتهم من آل البيت بتطوان.

وقد حلاه الاستاذ عبد الله كنون بهذه الاوصاف :

«أحد نوابغ البيت القادري الشريف وعميد الزاوية القادرية في تطوان وشفشاون والشمال بالمغرب الاستاذ المتفنن البارع المطلع جملة الفضل وخلاصة النبل القاضي الاكفأ الأنزه الأرضى [112]..»

---

(111) نفس المصدر : 183 ـــ 186.
ـــ الزاوية 21 و 34 ـــ 39

(112) الزاوية القادرية : 8

وقد تولى مقدمية الزاوية عام 1354 هـ [113]، كما تولى مشيختها بعد ذلك بنحو أربع سنوات وقد تولى عدة مناصب قضائية بتطوان وفاس والدار البيضاء وغيرها.

ومن أبناء الشيخ محمد بن عبد الهادي ابنه عبد الغفار الذي تولى نظارة أحباس الزاوية والنقابة بتطوان عام 1352 ـ 1933 م ثم استقال منها عام 1353 ـ 1934 م وقد أدخل اصلاحات كبيرة على الزاوية من جملتها فتح باب كبير لجهة ممر محمد الخامس وساحة الفدان والزيادة على صومعتها وبنائها على شكلها العربي الحالي وكان يشتغل بالتجارة ورحل إلى عدد من الأقطار الشرقية والافريقية [114].

ويتجلى تراث الزاوية القادرية في هذه الامور :

1. ما تركه الشيخ الصوفي عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة من كتب وأوراد وأذكار وخطب وذكريات حملها عنه تلاميذه ودونها مريدوه وأنصار طريقته.

2. تنوع أذكار الزوايا القادرية بالشرق والمغرب وافريقيا، فلكل منها أحزاب وأوراد لا تستعملها الاخرى لأنها ليست مقيدة باتباع بعضها بعضا في الاذكار والأحزاب وقراءة حزب معين والاجتماع في وقت معين مادامت أوراد الشيخ كثيرة وأحزابه وقصائده متعددة [115].

3. الاحتفال بالمواسم والأعياد على عادة أهل الزوايا.

4. استعمال آلات الطرب والطبول والأعلام في المناسبات الكبيرة والمهرجانات.

5. الاعتزاز بأن هذه الزاوية أقدم من غيرها لأنها سبقت الشاذلية التي أسسها الشيخ أبو الحسن الشاذلي الذي تفرعت عنه أكثر زوايا المغرب وكان تلميذا للشيخ عبد السلام ابن مشيش الذي يقال أنه أخذ عن الشيخ عبد القادر الجيلاني.

---

(113) بستان الاصاغر : 118

(114) بستان الاصاغر : 186 ـ 187.

(115) الزاوية القادرية.
ـ بستان الاصاغر : 116.

6. أن طائفة كناوة السودانية الأصل اختلطت بأهل هذه الطريقة وأدخلت عليهم طقوسا وأوضاعا من الممارسات الدينية الافريقية التي كانت محل استنكار، لكن القادرية لم تخص بها بل يوجد بعضها فيها وفي غيرها [116].

والزاوية الكتانية زاوية مغربية حديثة، لها أتباع وفروع بالمغرب، وقد انشئت شكليا على يد الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني عام 1267 هـ — 1850 م ثم أسس حفيده وسميه محمد بن عبد الكبير الطريقة الكتانية، إحدى الطرق الصوفية الشهيرة بالمغرب أيام السلطانين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ [117]، والعائلة الكتانية عائلة ادريسية، ترجع بنسبها إلى الملك الادريسي محمد بن ادريس الذي قسم المملكة الادريسية بين بنيه، وقد أخرجت للمغرب عددا من العلماء والأدباء، واكتسبت شهرة كبيرة عندما أسس أحد أفرادها الشيخ محمد بن عبد الكبير طريقته عام 1308 هـ — 1890 م وكان مثقفا ثقافة عالية، درس بالقرويين وصار من نبغاء خريجيها وكبار أساتذتها، وأجازه صفوة من علماء المشرق والمغرب، كانت له مكانة في عهد السلطان المولى عبد العزيز ولما أراد الناس مبايعة السلطان المولى عبد الحفيظ كان هو من العلماء الذين كتبوا شروط البيعة، وتشدد في وضع شروطها، وذلك ما جعل السلطان عبد الحفيظ يحقد عليه ويتوجس منه، واتهمه البعض بأنه كان يريد اعادة حكم الادارسة الى المغرب، وقد وقع التضييق عليه بفاس فخرج قاصدا بلاد البربر ومعه جميع أسرته من رجال ونساء، فأرسل السلطان في طلبه عن وجهته وأودع السجن مصفدا بالاغلال، ثم جلد ومات في سجنه عام 1327 هـ — 1907 م، وللشيخ الكتاني مؤلفات وقصائد.

وتنبني الطريقة الكتانية على قواعد أربع :

1. التوبة
2. امتثال الاوامر واجتناب النواهي
3. التماس المعاذير للناس

---

(116) عمدة الراوين 7 : 121 — 122.

(117) المغرب عبر التاريخ 3 : 569

— الجمعة المغربية لعلم الاجتماع السياسي 34 — 35

— الاعلام للزركلي 7 : 82 — 83.

Encyclopedie de lislam IV : 805 - 806

4. تعظيم الله في سائر الموجودات مهما صغرت.

ويرجع تراث هذه الطريقة للأمور الآتية :

1. شهرة الاسرة الكتانية والعدد الوافر من علمائها ووقوف الشيخ الكتاني موقف المعارض للسلطة.

2. الاوراد والاذكار التي أوصى بها الشيخ والقصائد التي نظمها وسيرته الشخصية.

3. ما بينها وبين الفقراء المريدين في المدن المغربية من صلات قوية

4. أن الشيخ الكتاني اعتبر نفسه خاتم الاولياء، ونازع التجانيين القول بانفراد شيخهم بذلك النعت، وذلك لأن الشيخ الكتاني كان يرى أن النعت المذكور يكون لاكبر ولي حي ما دام على قيد الحياة فاذا مات وخلفه غيره انتقلت الصفة اليه، وهي لا تبقى لمن مات، فلهذا الاعتبار كان هو خاتم الاولياء في زمانه (118).

ولقد ظهرت الزاوية الكتانية بتطوان على يد الشيخ محمد بن عبد الهادي القادري الذي حل بالمدينة عام 1322 هـ — 1904 م وصار يبشر بهذه الطريقة بعدما كان تلقى أورادها وأذكارها بفاس على يد الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، فتلقاها، منه عدد من شباب هذه البلدة، منهم الفقيه الاديب العالم السيد أحمد الحداد الذي صار صدرا أعظم في الحكومة الخليفية، الذي بقي وفيا لهذه الطريقة الى وفاته، كما اعتنقها عدد من أفراد الاسرة اللبادية (119).

وكان الفقيه الحداد دخل الطريقة الكتانية صغير السن اذ كان عمره يوم ذلك لا يزيد على سبعة عشر عاما، وممن دخل الطريقة كذلك السادة عبد القادر اللبادي وسلام العباس وأحمد مايو وأحمد العطيطر، وكان الفقراء الكتانيون يعقدون مجالسهم للذكر وقراءة الاوراد بزاوية سيدي أبي العباس السبتي الكائنة بالوسعة من حي المطامر، وعندما ألقي القبض بفاس على مؤسس الطريقة أرسل وزير داخلية السلطان الى القائد بتطوان عبد السلام بن الحسين البخاري يأمره بالقاء القبض على خليفة الطريقة الكتانية بتطوان محمد بن عبد الهادي القادري فصفد بالسلاسل

---

(118) الكمال المتعالي لمحمد بن عبد الكبير الكتاني ط. فاس ص : 76

(119) بستان الاصاغر : 184 — 185.

— الزاوية : 34 — 35

وأرسل الى الحضرة السلطانية ثم أطلق سراحه بعد أربعة أعوام، وفي عام 1334 هـ — 1915 م عمل الفقراء الكتانيون بتطوان على ايجاد مقر جديد لزاويتهم، ففاوضوا السيد أحمد بن عبد القادر الصردو زوج السيدة آمنة بنت الحاج محمد امحلي من أجل أن يكون مقر زاويتهم بزاوية سيدي بوجيدة أمحلي قرب الجامع الكبير وتم الاتفاق على ذلك عام 1334 هـ — 1915 م، ثم نقلوا زاويتهم لمقرها الجديد بزنقة المقدم، وكانت خربة لاولاد الشرتـي فأصلحوها وحولوها إلى زاوية عام 1350 هـ — 1931 م.

وكان الفقيه السيد أحمد الحداد يلقي بزاوية أبي جيدة دروسا في الفقه والحديث وغيرهما، ومن بين الذين زاروا الزاوية واتصلوا بفقرائها الشيخ عبد الحي الكتاني الذي دخل تطوان عام 1338 هـ — 1919 م، ومكث بها خمسة عشر يوما ألقى خلالها بالزاوية دروسا في الحديث، ودخلها، مرة أخرى عام 1946 م واتصل فيها بعدد من الشخصيات العلمية والسياسية ولكنه لم يلق بالزاوية دروسا هذه المرة.

المبحث الثاني :

السلفية

السلفية حركة ترمي إلى تحرير العقيدة الدينية للمسلمين من الانحراف والضلال والى تطهير العمل من البدعة التي تعني الاعراض عن الكتاب والسنة في الأقوال، والأعمال، والمقايس الذي تقيس به هذه الحركة الاعتقاد والقول والعمل كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه سلف الأمة من السلوك الذي أوصل المسلمين الى أوج العز ورفع قدرهم بين الأمم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، ولذلك عنيت هذه الحركة بأن تكون العبادة لله وحده وأن لا يعبد الله الا بما شرع، ومن هنا كانت هذه الحركة مناوئة لكل مظاهر الانحراف الديني كالتوسل بالأولياء واتخاذهم شفعاء والتعلق بالأضرحة وزيارة القبور والذبح عليها ورقص الصوفية وحكايتهم كرامات الأولياء واجتماعهم للذكر وغير ذلك مما يعتبره زعماء الحركة السلفية مخالفا لما كان عليه السلف الصالح قولا وعملا واعتقادا، ومن هنا كانت هذه الحركة مصادمة للتيار الصوفي الذي سيطر على العامة في العالم الاسلامي وكانت حركة تجديدية، تهدف إلى الاجتهاد ورفض التقليد واصلاح الحياة الاسلامية حسب المنهج الرباني الثابت بالكتاب والسنة.

وأغلب الظن أن يكون مفهوم السلف والسلفية ظهر في التاريخ الاسلامي في القرن السابع الهجري، عندما بدأ شيخ الاسلام أحمد بن تيمية يدعو اليه أو

يتصدى للرد على المذاهب والفرق التي خالفت نهج السلف ويندد بها.

وأغلب الظن أن يكون مفهوم السلف والسلفية ظهر في التاريخ الاسلامي في القرن السابع الهجري، عندما بدأ شيخ أحمد بن تيمية يدعو اليه أو يتصدى للرد على المذاهب والفرق التي خالفت نهج السلف ويندد بها.

وحمل رايته من بعده أعلام، في طليعتهم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية 751 هـ ـــ 1350 م) الذي دعا إلى نبذ الخرافات وترك التقليد، والاستقامة على الدين ورد الامور إلى الكتاب والسنة.

وجاء شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري ليعمل على تحقيق أفكار ابن تيمية وتخليد دعوته، فكان من ذلك انبعاث الفكر الديني السلفي في العالم الاسلامي وقيام حركات اصلاحية مناهضة للتصوف، ولا تزال أصداء المعركة بين التيارين قائمة واضحة، في الفكر الاسلامي الحديث وموقف المسلمين من الطرق الصوفية في هذا العصر. وقد اعتنق الفكر السلفي في العصر الحديث علماء أعلام، قاموا بالدعوة لهذه الحركة والتعريف بأصولها وتسفيه اعتقاد الخصوم ونسبتهم للبدعة وبيان المنهج الصالح لرقي الأمة الاسلامية وسعادتها وتقدمها انطلاقا من المفهوم الفكري والعلمي للسلفية ومن هؤلاء من أهل المشرق الامام محمد عبده ورشيد رضا وجمال الدين الافغاني وعبد الرحمن الكواكبي، ومن هؤلاء بالمغرب عبد الله السنوسي ومحمد كنون وأبو شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي ومحمد المدني ابن الحسني ومحمد بن عبد السلام السائح والمختار السوسي ومحمد علال الفاسي ومحمد المكي الناصري وتقي الدين الهلالي وعبد الله كنون، ولا ينبغي أن ننسى السلطان المولى سليمان العلوي الذي الذي كان أول من بلغته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودرسها وجبذها وعمل على نشرها، وأصدر رسالة هاجم فيها المواسم والبدع وحمل حملة شعواء على أصحابها.

ولقد كان أغلب سكان تطوان في بداية الفترة التي نؤرخ لها منضوين تحت لواء الطرق الصوفية، وكانت العقيدة الاشعرية هي العقيدة التي يتعلمها الناس في المساجد ابتداء من كتاب «المرشد المعين» وشروحه، وكان التصوف عندهم ملونا بالروايات عن كرامات الصوفية وما كان للشيوخ والابدال والغوث والقطب وخاتم الاولياء من تصرف في الكون والقدرة على العباد، وكان هناك تعلق بالاضرحة وحرص على حضور مواسمها والذبح عليها وغير ذلك مما يفعل عادة في الاضرحة، وكثيرا ما كان بعض الشبان من الراغبين في سلوك طريق القوم يسلمون أنفسهم للشيخ على

سبيل التجريد ليامرهم وينهاهم بما يرى أنه أصلح لهم دون أن ينازعوه في شيء من ذلك (120).

وفي الوقت الذي بدأ فيه الانبعاث الوطني بهذه المدينة في أعقاب نهاية الحرب الريفية 1927 كانت الحركة السلفية قد نشطت بالمغرب على يد الشيخين أبي شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي، فقد كان للشيخ أبي شعيب أثر كبير في نشر المذهب السلفي بالرباط وفاس، ففي الرباط كانت له مجالس كان يعقدها بالزاوية الناصرية، أو المسجد الاعظم أو ضريح سيدي فاتح أو مسجد القبة و«كان من نتائج تلك الدروس انتشار السلفية الصافية المنبعثة من نبعي الاصلين الكتاب والسنة، فبعد ممارستها والمثابرة على حلقاتها تفتحت الافكار والاذهان، ووقع بعث جديد، واقبال على دراية الكتاب والسنة بعد فترة قصيرة كان الناس يتهيبون الخوض فيما حملاه من وعي ونور ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ ومن هذا المبدأ السلفي القويم انتشرت السلفية بالمغرب، وكان ما كان من صراع بين الشباب المتفتح والشيوخ سواء في المغرب والجزائر الشقيقة أثناء العشرينات الميلادية والاربعينات الهجرية» (121). وكانت للشيخ أبي شعيب مجالس أخرى في فاس يعقدها بالقرويين، وكان طلبةهذه الجامعة يحرصون على حضور مجالسه، ويبادرون لاعتناق أفكاره ومبادئه، ويعملون على الاتصال بزعماء هذا التيار في الشرق العربي وقراءة ما كتبه أعلام هذه الحركة هناك من مقالات ومؤلفات حول السلفية ومبادئها وغاياتها.

وممن تخرج على الشيخ شعيب في الفكر السلفي بالرباط الشيخ المحدث الدراكة محمد بن المدني ين الحسني الرباطي والعلامة أبو عبد الله محمد السائح وممن أخذ عنه هذا المبدأ بفاس العلامة الكبير الشيخ محمد بن العربي العلوي والعلامة عبد السلام السرغيني وعدد من صغار الشباب من الذين قدر لهم أن يتزعموا الحركة الوطنية فيما بعد، وكان الشيخ محمد بن العربي العلوي شديدا على الزوايا مجاهرا بمحاربتها، يدعو الى النهضة والعناية بالتعليم الحر (122) وقد أثرت حركته في الطلبة الذين درسوا عليه بالقرويين وغيرها فواصلوا رسالته بكل حماس واخلاص، وقد وجد هؤلاء الشبان في الصحافة الشرقية مادة خصبة لتنمية الفكر

(120) كان الاستاذ التهامي الوزاني في شبابه من الذين سلموا أنفسهم للشيخ ادريس الحراق على سبيل التجريد وسلب الارادة، (انظر الزاوية : 98 — 99).

(121) المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي : 15.

(122) Rebirth of a nation : 123

السلفي، ومن بين الصحف الشرقية التي كانت تحمل هذا الفكر مجلات «المنار» و«الفتح» القاهريتان ومجلة «الشهاب» القسنطينية التي كانت تعكس الآراء السلفية لجمال الدين الافغاني ومحمد عبده وعبد الحميد بن باديس وغيرهم، وقد ساهم بعض الكتاب المغاربة من طبقة الشبان في تحرير مقالات جريدة الشهاب، وكانت المقالات التي نشرها محمد غازي سبب منعها بالمغرب عام 1927 كما أدت إلى نفيه بعد عام من التاريخ المذكور، ومن كتب الحركة السلفية التي كان المغاربة يقرأونها في تلك الفترة كتب ابن تيمية وخاصة كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» الذي كان له تأثير كبير في تحويل الشيخ محمد بن العربي العلوي نحو الاتجاه السلفي، وكتاب «الموافقات» للامام الشاطبي الغرناطي وكان الفقيه السرغيني يعتمده في دروسه بالقرويين، كما كان نقطة انطلاق الحملات التي كان يشنها الشيخ محمد المكي الناصري منذ عام 1925 م على الطرق الصوفية وشيوخ التصوف (123).

ولقد دخل التيار السلفي تطوان من طريقين : طريق الاتصال بالشرق بواسطة الصحف والمجلات التي كان يحملها البريد، وخاصة البريد الانجليزي الذي لم يكن مراقبا من طرف الدولة الحامية والذي كان يحمل الصحف الشرقية «كالمنار» و«الفتح» و«الشهاب» وغيرها، وكذلك بواسطة الاتصالات الشخصية مثل الاتصالات التي كانت بين الامير شكيب أرسلان وزعماء الحركة الوطنية بشمال المغرب وفي طليعتهم الحاج عبد السلام بنونة ومحمد داود، وبسبب هذه الاتصالات أخذ البريد يحمل من الشرق كتبا تعرب عن الاتجاه السلفي ككتاب «لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم» وكتاب «حاضر العالم الاسلامي» وغيرهما، وكذلك حمل البريد رسائل متبادلة بين زعماء المشرق وزعماء المنطقة، ومن نماذجها رسائل الامير شكيب أرسلان الى الحاج عبد السلام بنونة التي نشرها الطيب بنونة تحت عنوان «نضالنا القومي» وعندما زار أمير البيان شكيب أرسلان تطوان عام 1930 م تمتنت علاقة هذه المدينة بالمشرق وظلت زيارته ماثلة للأذهان في أعمال رجال الحركة الوطنية وأنصارهم، لتحفز الناس على التفكير في مصير العالم الاسلامي والمغرب وما يجب عمله لدرء الخطر الذي يهدد الاسلام والمسلمين، ثم توالت بعد هذا الاتصالات بالمشرق، فكانت هناك البعثات إلى مدرسة نابلس والى معاهد القاهرة وكان هناك بيت المغرب الذي أعد لاستقبال طلبة بعثة معهد

---

(123) Ibid : 125

مولاي الحسن فأصبح أمر الشرق والتيار الفلسفي السلفي السائد به معلوما معروفا عند المغاربة.

والطريق الثاني الذي دخل به التيار السلفي تطوان طريق الاتصال بالقرويين في التاريخ المتقدم الذي نشط فيه التيار السلفي بفاس على يد الشيوخ أبي شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي وعبد السلام السرغيني، وذلك لأن الطلبة من تطوان في أوائل هذه الفترة كانوا يرحلون الى فاس لإتمام دراستهم الجامعية واستكمال معارفهم العليا، ومن الطلبة الذين رحلوا الى فاس لهذا الغرض عبد الخالق الطريس وامحمد بنونة ومحمد داود ومحمد الطنجي وأحمد بن تاويت وقد تأثر هؤلاء بالفكر السلفي الذي كان محل أخذ ورد بتلك العاصمة العلمية وحملوه بدورهم الى تطوان لدرجة أن هذا الفكر حمل بعض من كان منهم انخرط في سلك التصوف على مراجعة نفسه في الموضوع وتغيير سلوكه كلا أو بعضا ليكون سلوكا منسجما مع الكتاب والسنة وعقيدة السلف ومنهجهم في الحياة، كما حدث لمحمد بنونة الذي كان حراقيا درقاويا صوفيا، فلما درس بفاس أثناء هذه الفترة تخلى عن التصوف واعتنق المذهب السلفي (124)، وربما يكون هذا هو حال اكثر طلبة تطوان بفاس في هذه الفترة والذين كان عددهم يصل الى ثلاثين طالبا (125).

وقد حدث الاستاذ التهامي الوزاني أنه كانت تحدث بين فقهاء تطوان وشيوخ الطرق خصومات، اذ كان بعض فقهاء المدينة ينتقدون الطرق الصوفية والشيخ والمشيخة وما كان لذلك من تأثير سلبي على عقول الناس وأن المعركة بينهم وبين الزوايا كانت مشتعلة وأن شيوخ الزوايا كانوا يحذرون الاتباع وخاصة الشبان من مجالسة أولئك الفقهاء «الجامدين» (126). ولكن هذه النزعة الداخلية للفقهاء لم يكن لها تأثير كبير على الشبان كما كان للتيار السلفي الوافد من الشرق ومدينة فاس.

وقد تعزز التيار السفلي بتطوان بدخول عدد من علماء المغرب من حملة الفكر السلفي اليها في الثلاثينات والأربعينات للميلاد، وفي طليعة هؤلاء الشيخ أبو شعيب الدكالي والزعيمان علال الفاسي ومحمد المكي الناصري والداعية محمد تقي الدين الهلالي واذا كان الأستاذ علال الفاسي تربى في أجواء هذه المدينة ونشط

---

(124) الزاوية : 129 ـــ 131

(125) جريدة الريف ـــ العدد : 177

(126) الزاوية : 111

للحركة السلفية في ربوعها ولم يطل مقامه بتطوان فان الشيخ المكي الناصري على العكس من ذلك خريج مدرسة الرباط السلفية هو من أبرز رجالها في هذا ونشأ بالعاصمة الرباط وقدم الى تطوان لمحاربة الاستعمار الفرنسي وطال مقامه بتطوان وعلم فيه وأدار معهد مولاي الحسن الثانوي وأشرف على ارسال بعثة مولاي المهدي للدراسة بالشرق العربي وأسس جريدة «الوحدة» و«حزب الوحدة المغربية» وخطب وكتب في الجرائد الشمالية التي كانت تصدر بالمنطقة خلال هذه الفترة، وتمكن من اذاعة الفكر السلفي على نطاق واسع، وخلال الاربعينات دخل تطوان حامل راية السلفية الداعية الكبير محمد تقي الدين الهلالي فهاجم التصوف والصوفية، ودعا إلى ترك التعلق بالأضرحة والى طرح التقليد، وخاصم حملة التيار الصوفي وهاجمهم نثرا وشعرا، وأثار ضجة في الوسط التطواني بين أنصار التيار الصوفي وخصومه، وسجل ذلك كله في كتاب «الدعوة الى الله» الذي هو من أبرز ما كتب عن التيار السلفي بالمغرب لهذه الفترة، وقد أنشأ عندما أقام بتطوان لتلك الغاية مجلة «لسان الدين» التي كان يكتب فيها مقالات وقصائد تكشف عن هذا الاتجاه، وعندما غادر المغرب قام بتحرير الجريدة الأستاذ عبد الله كنون الذي سار في نفس الاتجاه السلفي ولكن بأسلوب معتدل اللهجة وطريقة هادئة، ولقد كان الفقيه محمد الطنجي التطواني من كبار فقهاء تطوان الذين قاموا على نشر الدعوة السلفية والانتصار لها بمقالاته وخطبه والمجلة التي أنشأها لهذا الغرض، وأعني بها مجلة «الارشاد الديني» وكذلك الفقيه السلفي محمد حجاج.

(يتبع)

المملكة المغربية
القصر الملكي
دار الحديث الحسنية

دار الحديث الحسنية

سنوية علمية تعنى بشؤون الفكر الإسلامي

رئيس التحرير:

الدكتور محمد فاروق النبهان

مدير دار الحديث الحسنية

العـدد 11

1414 هـ ــ 1993 م

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع القانوني

1979 / 6

ISSN 0851 — 0245

فهرس العدد الحادي عشر من مجلة دار الحديث الحسنية

بحوث تمهيدية مقدمة إلى دار الحديث الحسنية

مــلاحــق

الحركة العلمية والثقافية

بتطوان من الحماية إلى الاستقلال
(1331-1376هـ/1912-1956م) (2)

للدكتور ادريس خليفة

الصحافة

كانت تطوان خلال هذه الفترة رائدة في المجال الصحفي، إذ توفرت لها عوامل أدت إلى النهضة في الميدان الفكري وبروز مثقفين وأدباء وعلماء شعروا بضرورة الكتابة والتعبير بواسطة الصحافة، وعلى الرغم من أن الامكانات المادية المتاحة للصحافة كانت ضئيلة، فإن القناعة الفكرية والوطنية بضرورة العمل الثقافي ذللت هذه الصعوبة، فأصبحنا أمام صحافة متنوعة في اتجاهاتها وميولها تستقطب اهتمام كتاب أسهموا في نشاطها بأفكار نيرة وأسلوب جيد طليق من القيود الشكلية، على نمط الأسلوب الذي كان مستعملا في الصحافة الراقية بالشرق العربي، بعيد عن التعقيد، سلس، منجذب للمواضيع التي لها أهمية اجتماعية ووطنية وإسلامية، ولهذا فإن صحافة هذه الفترة هي مما يشرف هذه المدينة التي كان لها أكثر من عطاء في ميادين الفكر والوطنية والتعليم والمحافظة على الأصالة.

ونجد في اللائحة التي أصدرتها وزارة الاعلام بتطوان، بمناسبة معرضها الصحفي الأول بالمدينة بتاريخ 5 مارس 1978م والتي أوردت فيها أسماء الصحف التي كانت تصدر بها مرتبة على حروف المعجم مع ذكر المؤسس أو المدير وطبيعة المجلة أو الجريدة بيانا مفيدا عن هذه الحركة وأهميتها، وذلك حسب ما يأتي :

العنــوان	المؤسس أو المدير	الاتجــاه
1. الاتحاد	ادارة الحماية	مجلة علمية أدبية فنية
2. الأخبار	محمد بن أحمد داود	أسبوعية وطنية حرة
3. الأخبار	عبد السلام العسري	جريدة اخبارية ثقافية
4. الاصلاح	المجلس العلمي بتطوان	مجلة علمية أدبية
5. الاصلاح	ادارة الحماية	جريدة أسبوعية اخبارية
6. الارشاد الديني	محمد الطنجي	مجلة اسلامية ثقافية
7. الأمانة	محمد بلهاشمي	مجلة دينية ثقافية
8. الأمة	محمد الخطيب	صوت حزب الاصلاح الوطني
9. الأنوار	محمد مدينة	مجلة ثقافية
10. الأنيس	محمد المراكشي ومحمد الحجرة	مجلة ثقافية فنية
11. بريد الصباح	محمد بن عبد الله الوزاني	جريدة يومية اخبارية
12. تطوان	نيابة التربية الوطنية بالشمال	مجلة الأبحاث
13. تطوان	علي الريسوني	جريدة اخبارية مستقلة
14. تمودة	معهد الأبحاث	جريدة الأبحاث المغربية
15. الجذوة	حسن الطريبق	مجلة فكرية ثقافية
16. الجريدة الرسمية	ادارة الحماية	الحياة الادارية بالمنطقة
17. الجريدة الرسمية للأوقاف	وزارة الأوقاف بالمنطقة الخليفية	تعنى بشؤون الأوقاف
18. جريدة افريقيا	ملحق لاكسيطادي افريكا	جريدة اخبارية
19. الحرية	أحمد غيلان	صوت حزب الاصلاح الوطني
20. الحديقة	محمد أبو خبزة	مجلة ثقافية
21. الحياة	عبد الخالق الطريس	جريدة اخبارية سياسية
22. الدستور	ابراهيم الوزاني	يومية سياسية اخبارية
23. الرابطة الرياضية	بركة الريسوني	مجلة رياضية
24. الريف	التهامي بن عبد الله الوزاني	جريدة سياسية ثقافية

25. زهرة تطوان	ثانوية خديجة أم المؤمنين	مجلة طلابية
26. الســـلام	محمد أحمد داود	مجلة شهرية ثقافية
27. الشـــراع	عبد الكريم الطبال	مجلة أدبية ثقافية
28. الشهـــاب	محمد العربي الشويخ	جريدة أسبوعية اخبارية
29. صيحة البادية	محمد المبارك	اجتماعية سياسية
30. كتامـــة	خسينطو لويس خرخي	ملحق أدبي لمجلة تمودة
31. لسان الدين	محمد تقي الدين الهلالي	مجلة ثقافية جامعة
32. المجتمع	محمد العربي الشاوش	صحيفة ثقافية اجتماعية
33. مجلة الغرفة التجارية	الغرفة التجارية والصناعية	مجلة اقتصادية
34. مجلة الغرفة الفلاحية	الغرفة الفلاحية	مجلة تعنى بالفلاحة
35. مجلة القوانين المغربية	موسى عبود	مجلة تعنى بالقانون
36. المسرح الأدبي	فرقة المسرح الأدبي	مجلة فنية أدبية
37. المصباح	محمد النجار	مجلة ثقافية علمية
38. المعتمد	طورينا مركدير	مجلة ادبية ثقافية
39. المعرفة	حسن المصمودي	مجلة ثقافية شعرية
40. المعرفة	حسن المصمودي	صحيفة أسبوعية اخبارية
41. المغرب الحر	عبد السلام الطود	صوت حزب المغرب الحر
42. المغرب الجديد	محمد العربي بنجلون	مجلة علمية ثقافية
43. الموقف الأسبوعي	خ مشبال وط. الشويخ	جريدة أسبوعية اخبارية
44. الموقف	خ مشبال وط. الشويخ	مجلة ثقافية
45. الميثاق	عبد الله كنون	صوت رابطة علماء المغرب
46. النبراس	أحمد بلقات	مجلة ثقافية أدبية
47. النصـــر	مانويل ل أرطيكا	مجلة العالم الاسلامي
48. النصـــر	محمد المنتصر الريسوني	مجلة أدبية ثقافية
49. النهـــار	محمد أبو العيش بيصة	جريدة يومية اخبارية

50. النهضـــة	عبد الواحد الشـاط	لسان حال النادي الثقافي
51. النـــور	اسماعيل الخطيب	جريدة اسلامية
52. نور الهداية	عمر مفتي زادة	أسلامية حرة
53. الهدى	محمد العربي الشويخ	صحيفة دينية ثقافية
54. الوحدة المغربية	محمد المكي الناصري	جريدة اخبارية
55. الوعي القومي	جمعية الوعي القومي	مجلة ثقافية اجتماعية

فهذه اللائحة التي أصدرتها نيابة وزارة الأنباء بالاقليم ــ كما رأينا ــ ترتب أسماء الصحف والمجلات التطوانية على حروف المعجم، وتشتمل على صحف ومجلات أصدرت قبل الاستقلال، وصحف ومجلات أصدرت بعده، ويهمنا نحن الكلام على ما صدر من الصحف ومجلات قبل الاستقلال فمنها صحف ومجلات قامت بدور رائد وطالت مدة اصدارها، وصحف ومجلات عابرة، بعضها لم يعمر إلا فترة قصيرة، تحسب بالأشهر والسنة والسنتين، ومنها صحف ومجلات ذات اتجاهات سياسية، وصحف ومجلات ذات اتجاهات أدبية وفنية وتاريخية، وصحف ومجلات ذات اتجاهات دينية اصلاحية، وإن كان من الملاحظ أن هذه الاتجاهات كلها تظهر بصفة عامة في مختلف المجلات والصحف، حيث نرى الصحيفة والمجلة التي يغلب عليها اتجاه معين، تظهر على صفحاتها اتجاهات أخرى أدبية وسياسية وعلمية وفنية وتاريخية.

والملاحظ أن لائحة وزارة الأعلام أدرجت اسم مجلة كانت تصدر بالاسبانية بتطوان وهي مجلة (تمودة) مع أن اللائحة مخصصة ــ فيما يبدو ــ للصحف والمجلات العربية، كما أدرجت اسم مجلة (الوعي القومي) مع أن هذه المجلة كانت تصدر بطنجة، وليس بتطوان كما قد يتوهم.

وقد كانت مدينة تطوان من الناحية التاريخية ثانية مدينة مغربية صدرت بها صحيفة سيارة، وكانت الصحيفة الأولى التي صدرت بها اسبانية اللغة وتحمل اسم (طنين تطوان) El eco de Tetuan وذلك عام ألف وثمانمائة وستين ميلادية إبان الاحتلال الأول لهذه المدينة، ولم يصدر منها في تلك الفترة إلا عدد واحد مؤرخ بفاتح

مارس وكانت تطبع في مطبعة حربية اسبانية بأمر من رودريكو Carlos Rodrigo (1) وكان مقر هذه المطبعة بساحة الفدان (ساحة الحسن الثاني) وهي أول مطبعة عرفها المغرب، عملت خارج المراكز الشاطئية الشمالية التي تحتلها الدولة الاسبانية، وأعني بهذا سبتة ومليلية والجزر الشاطئية، ومن المرجح أن تكون هذه المطبعة قد حملت بعد ذلك إلى سبتة بعد انسحاب الاسبان عن تطوان قريبا من التاريخ المذكور، وذلك لأن جريدة (مخبر تطوان) El Noticiario de Tetuan التي طبعت بها بعد ذلك خلال ستة أشهر من الاحتلال المذكور كانت أنماط حروفها مختلفة عن أنماط الحروف التي استعملت في الجريدة الأولى (2). وعليه تكون جرية (مخبر تطوان) التي صدر عددها الأول بتاريخ 16 غشت من سنة 1860م وتوقفت عن الصدور في 13 فبراير 1861م هي ثاني جريدة عرفتها تطوان في تلك الفترة وكانت تصدر عن مطبعة كنطيو Cantillo التي كان مقرها بشارع المشور (شارع ايبيريا كما سماه الاسبان آنذاك)، وكانت أول مطبعة اسبانية بالمغرب استعملت حروفا عربية.

والجريدتان المذكورتان (طنين تطوان) و (مخبر تطوان) كانتا لسان حال الجالية الاسبانية المقيمة بالمغرب، وتعنيان بالعلاقات المغربية الاسبانية وتخدمان المصالح الاستعمارية في افريقيا.

وقد عادت الجريدة الأولى (طنين تطوان) للصدور بها قبيل الاحتلال الاسباني الثاني للمدينة بثلاث سنوات، وذلك ابتداء من عام 1910م واستمرت في العمل الصحفي إلى عام 1929م.

وبعد فترة من الاحتلال الاسباني الثاني للمدينة، بدأت تظهر صحف ناطقة بالعربية، تعبر عن آراء الجهات الرسمية، واستمر الوضع على هذا النحو إلى أوائل العقد الرابع من هذا القرن، حيث بدأت الصحافة ذات الاتجاه الوطني المغربي تعمل وتظهر في الميدان وترسخ في النفوس العقائد الاسلامية والوطنية والعربية وتدعو إلى توحيد الصفوف ووضع حد لنظام الحماية (3). ولذلك يمكن تقسيم العمل الصحفي

---

(1) Historia de la accion cultural : 745
— Apuntes para la historia de la imprenta en el norte de Marruecos : 10

(2) Historia de la accion cultural : 745

(3) أكثر المعلومات التي تضمنتها هذه الدراسة عن الصحافة العربية بتطوان استفدتها من مطالعة الجرائد والمجلات التي صدرت خلال هذه الفترة.

في هذه الفترة ابتداء من الحماية إلى الاستقلال إلى مرحلتين :

1. المرحلة التي جاءت بعد الاحتلال مباشرة إلى أوائل العقد الرابع من القرن الميلادي.

2. المرحلة من أوائل العقد الرابع إلى حصول المغرب على الاستقلال عام 1956م.

وإذا تكلمنا عن ازدهار الصحافة بتطوان فإنما نعني المرحلة الثانية التي واكبت العمل الوطني السياسي الجاد في شمال المرب بعد توقف حركة الجهاد المسلح في الجبال، وقد أدركت الحركة الوطنية المغربية التي انبثقت في هذه الفترة أنه لا يمكنها أن تنتصر على المعمرين إلا ببث وعي جماهيري جديد داخل ربوع الوطن واتحاد الكلمة ونشر التعليم ومواجهة الاستعمار سياسيا وعقائديا وعلى صعيد الدعوة والدعاية، وعلمت أن من أقوى الأسباب المحققة لهذه الغاية العمل الصحفي والأدبي الهيمنة الاستعمارية، وفي طليعتها الشعوب العربية بالمشرق العربي.

ومن الممكن القول بأن الأسباب التي أدت إلى ازدهار الصحافة في تطوان ترجع إلى ما يلي :

1. أن تطوان كانت من المراكز النشيطة للحركة الوطنية بالمغرب منذ الثلاثينات الميلادية، خاصة أنواع النشاط التي كانت محظورة في الجنوب بعد المصادمات العنيفة مع الادارة الفرنسية (4).

2. أن العلاقة بين الاسبان والفرنسيين برغم هدوئها الظاهري كانت متسمة بالشك من طرف الاسبان والغيرة مما نالت فرنسا من مغانم في الجنوب لخصوبة الأرض هناك ونجاح الفرنسيين في عملية التهدئة بأسرع مما تحقق للاسبان في هذا المجال، ولهذا كان الاسبان يحبون أن ينتقد الوطنيون سياسة الحماية الفرنسية ويوغلوا في ذمها واظهار شرورها.

3. أنه لما قامت الحرب الاسبانية عام 1936م شعر فرانكو زعيم الحركة الوطنية الاسبانية أن السبيل لكسب عطف المغاربة ومؤازرتهم وضمان اخلاص الجند

(4) Political change in Morocco : 47-48

المغربي في صفوف قواته أن يتظاهر بحب المغاربة والرغبة في مساعدتهم وتحقيق الحرية لبلادهم، فكان من أوجب الواجبات اطلاق الحرية للوطنيين المغاربة لاصدار الصحف وممارسة أنواع الحريات الأخرى وعدم الاعتراض على ذلك، وبلغ الأمر في هذا المجال ــ كما يقول آشفورد ــ أن الصحف الوطنية في الشمال المغربي تمتعت بحرية تعبير لم تكن اسبانيا نفسها تعرفها (5).

وقد ظلت السلطة الاسبانية ملتزمة باطلاق الحريات التعبيرية على التحو المذكور بصفة عامة إلى عام 1948م حينما ساءت العلاقة بين حزب الاصلاح وزعيمه الطريس الذي كان وقتها يهاجم السياسة الاسبانية ويحاربها من القاهرةوطنجة وبين السلطة الاسبانية في المنطقة، فمنعته السلطة من دخول تطوان، وأغلقت مكاتب الحزب، إلى أن سمح بعودة الحزب ليعمل من جدي بصورة أكثر حرية عام 1952م، عندما تحسنت تلك العلاقات تحسنا ملموسا.

4. أن اسبانيا شعرت في أواخر العقد الخامس من القرن العشرين حوالي عام 1946م بضرورة خروجها من العزلة السياسية التي فرضتها عليها الدول الأوربية بسبب ماضيها في خدمة الفاشية، فاتجهت إلى العالم العربي تبحث عن الصداقة والتعاون، فاشترط عليها العرب نهج سياسة جديدة بالشمال المغربي قائمة على أساس الاعتراف بالحريات المشروعة، ووضع حد للسياسة الاستعمارية والاتجاه بمنطقة الحماية نحو الاعتراف بالاستقلال، وعلى هذا الأساس كانت الاتصالات التي وقعت بين الدولة الحامية والجامعة العربية عام 1946م (6).

5. أن الشمال المغربي كان ملجأ الوطنيين بالجنوب، وكان من بين اللاجئين طائفة صالحة من العلماء المثقفين والسياسيين الذين كانوا لا يكلون عن العمل في مجال الدعاية للقضية المغربية والدفاع عن حقوق الوطن وفضح السياسة الاستعمارية الفرنسية والاسهام مع ذلك في مجال الثقافة شعرا ونثرا، وعلى أن هناك مثقفين آخرين من الجنوب كانوا يكتبون إلى المجلات والجرائد بالشمال التي كانت ترحب بانتاجهم وتنشر لهم، ويبدو أنهم كانوا لا يجدون في الجنوب صحافة تقوم بالمهمة فكانت

(5) Morocco old land new nation : 87

(6) Morcoccan drama : 170

صحافة تطوان مجالا لعرض آرائهم وأفكارهم وألوان ابداعهم، ومن أبرز الشخصيات العلمية من الجنوب الذين كانت تنشر لهم الصحافة الوطنية بالشمال الأساتذة علال الفاسي ومحمد بليمني الناصري ومحمد بن الحسن الوزاني وسعيد حجي وعبد الوهاب بنمنصور.

6. وجود حركة ثقافية مهمة لم تزل تنمو منذ الاصلاحات التي أدخلت على حقول الثقافة والتعليم والتي أدت إلى ايفاد بعثات علمية إلى الشرق وفتح بيت المغرب بالقاهرة واحداث جوائز أدبية للابحاث الاسلامية والعربية الأندلسية كجائزة معهد مولاي الحسن للأبحاث وجائزة معهد الجنرال فرانكو وجائزة المغرب « مرويكوس» للأدب، والجوائز التي كانت تمنح لطلبة المدارس عند حفلات انتهاء السنة الدراسية واحداث عادات الاحتفالات الأدبية بعيد العرش وعيد الجلوس الخليفي إذكان الكتاب والشعراء يتبارون في القول والاجادة، وكذلك في أعياد الكتاب المغربي الاسباني التي كانت مناسبة للاشادة بالعلم وفضله وإقامة معارض الكتب والصحف واثارة ذكرى كبار الشخصيات الأدبية والثقافية بالعالم العربي والاسلامي والأندلس.

7. وجود نصوص قانونية تنظم شؤون حرية التعبير والاجتماع والنشر وحرية تأسيس الأحزاب وأعني بذلك ظهير 24 دجنبر 1931م والمرسوم الوزاري الصادر بتاريخ 11 مارس 1934م والمرسوم الوزاري الصادر بتاريخ 8 مارس 1952م وظهير المطبوعات الصادر بتاريخ 11 يناير 1936م.

8. وجود مطابع كانت تيسر مهمة العمل الصحفي وفي مقدمتها المطبعة المهدية، وبها كانت تطبع الجرائد والمجلات الآتية : المعرفة والأخبار، والارشاد الديني، والأمة، والأنوار، والأنيس، والجريدة الرسمية لوزارة الأوقاف، والحرية، والحياة، والريف، والسلام، ولسان الدين ثم مطبعة المخزن التي كانت تطبع الجريدة الرسية، والمطبعة الحسنية وبها كانت تطبع الرابطة الرياضية والأسبوعية وكذلك جريدة المغرب الحر، ومطبعة الوحدة المغربية، وكانت تطبع جريدة الوحدة المغربية، ومطبعة Tropas coloniales التيكانت تطبع كلا من مجلة الاصلاح وجريدة الاتحاد، وكان مقرها في سبتة، ومطبعة بريد الصباح، وكانت تطبع الجريدة المعروفة بنفس الاسم.

9. تمكنت الصحافة من الحصول على مساعدة مادية حكومية، ابتداء من عام 1936م في اطار السياسة التي كانت تنهجها اسبانيا بالمغرب والقاضية باطلاق

حريات التعبير على الرأي للمغاربة، وتشجيعهم على القيام بنشاط صحفي مناسب، ومنذ ذلك التاريخ أخذت مختلف الصحف تتلقى المساعدة المذكورة عدا صحيفة (الحياة) التي لم تقبل أن تتسلمها على الرغم من أنها عرضت عليها [7]، وقد عرفت المرحلة الأولى من المراحل الزمنية للصحافة بتطوان في القرن العشرين، وهي المرحلة السابقة على العقد الرابع الذي بدأ فيه ازدهار الصحافة بالمدينة، ظهور عدد من الصحف العربية الرسمية وشبه الرسمية، أولها صحيفة (الاصلاح) التي أسسها بتطوان عام 1915م الصحفي الاسباني فرنانديث Fernandez وأدارها بمساعدة الصحفيين اللبنانيين نعمت الله الدحداح وحبيب أبو سليمان وبعض المغاربة، وفي عام 1918م ظهرت الجريدة الرسمية للمنطقة، وكانت تصدر مرة كل نصف شهر إلى عام 1944م حيث بدأت تصدر أسبوعيا، وفي نفس العام أخذت جريدة El norte de Africa تصدر في صفحة محررة بالعربية، وكان يشرف على تحريرها الفقيه محمد بن العربي الخطيب، وفي عام 1925م أسس الاسباني مانويل أرطيغا Manuel ortega مجلة (النصر) بمساعدة الصحفيين اللبنانيين المذكورين، وظهرت عام 1927م جريدة (الاتحاد) التي كان يديرها الاسباني Fernandez[8] وكانت جريدة اخبارية أدبية جيدة، ولكنها كانت تطبع في سبتة.

وفي المرحلة الثانية التي هي مرحلة ازدهار الصحافة بتطوان ظهرت عدة جرائد ومجلات عربية، سأتحدث عن أهمها فيما يأتي :

أ. الجرائـــد :

1. الحيـــاة : وهي جريدة وطنية أسبوعية، صدرت العدد الأول منها يوم الخميس 1 ذي القعدة 1352 هـ فاتح مارس 1934م وكان يتولى تحريرها الأستاذ عبد الخالق الطريس ثم قام برئاسة التحرير الأستاذ التهامي الوزاني ابتداء من العدد 32 من السنة الأولى 1353هـ/1934م عندما أسندت للاستاذ الطريس وظيفة مديرية أحباس المنطقة.

(7) المقاومة المسلحة والحركة الوطنية بشمال المغرب : 144
ــ جريدة الأمة، العدد 904 بتاريخ : 7 غشت 1957.

(8) Historia de la accion cultural : 756

2. **جريدة الأخبار** : وهي جريدة وطنية جامعة، تصدر مرتين في الأسبوع مؤقتا كما قال شعارها، وقد أصدرها الأستاذ المؤرخ محمد داود وصدر العدد الأول منها بتاريخ 21 ذي الحجة 1354هـ/15 مارس 1936م.

3. **الريـف** : وهي جريدة وطنية حرة سياسية ثقافية، تولى تحريرها الأستاذ التهامي الوزاني، وصدر العدد الأول منها بتاريخ الخميس 9 جمادى الثانية 1355هـ/27 غشت 1936م.

4. **جريدة الوحدة المغربية** : لسان حال حزب الوحدة المغربي، وقد صدر العدد الأول منها بتاريخ الأربعاء 21 ذي القعدة 1355 هـ — 3 فبراير 1937م وقد أصدرها الأستاذ الشيخ محمد المكي الناصري.

5. **الحرية** : وكانت لسان حال حزب الاصلاح الوطني، صدر عددها الأول يوم فاتح محرم 1356 هـ، وتولى ادارتها الأستاذ أحمد غيلان.

6. **جريدة الأخبار** : التي تولى ادارتها الفقيه عبد السلام بن الحاج علي العسري، وكانت جريدة رسمية أو شبه رسمية، هدفها اظهار نشاط الدوائر الحكومية وابراز وجهة نظر القائمة وسياستها والسياسة التي ترضى عنها، وقد صدر عددها الأول بتاريخ 29 ربيع الأول 1362 هـ — 5 أبريل 1943م.

7. **جريدة النهار** : وكانت لسان حال المنطقة الخليفية، كما يقول شعارها وكان نصفها بالعربية والنصف الثاني منها بالاسبانية، ولذلك كانت تلتقي على صفحاتها وجهات النظر الاسبانية الرسمية بالدرجة الأولى ووجهات النظر المغربية بالدرجة الثانية، كما كانت أداة وصل بين الثقافتين العربية والاسبانية، وقد صدر عددها الأول بتاريخ 8 دجنبر 1947م وكان يصدرها الأستاذ أبولعيش بايصة.

8. **جريدة الدستور** : صدر عددها الأول مبينا أنها ستصدر مرتين في الأسبوع، بدون تاريخ، وصدر عددها الثاني بتاريخ الثلاثاء 21 ربيع الأول 1367 هـ 3 فبراير 1948م وقد تكلف بادارتها ورئاسة تحريرها الأستاذ ابراهيم الوزاني، ويبدو أنها كانت تعبر عن وجهة نظر حزب الشورى وزعيمه الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني وأطر هذا الحزب.

9. **جريدة الأمـة** : وكانت لسان حزب الاصلاح الوطني، تولى رئاسة تحريرها

الأستاذ محمد بن محمد الخطيب، وصدر عددها الأول يوم الخميس 6 شعبان 1371هـ، 1 ماي 1952م، وكانت تصدر بصفة مؤقتة ثلاث مرات في الأسبوع، ثم صارت تصدر يوميا، وكانت هي الجريدة الأولى بالمنطقة بعد نفي الملك محمد الخامس ــ طيب الله ثراه ــ ودخول المغرب مرحلة الكفاح المسلح من أجل عودة المشروعية والمطالبة بالاستقلال، وكانت معنية بالأخبار والوطنية المغربية والدعاية القومية والاتجاهات الاسلامية.

10. المغرب الحر : وهي جريدة سياسية، سارت في الاتجاه المعاكس لحزب الاصلاح على سبيل منافسته ومعارضته، وكانت لسان حال حزب المغرب الحر، وتولى ادارتها وتوجيهها الأستاذ عبد السلام الطود، وبدأت في الصدور عام 1952م ثم توقفت حينا، وعادت بعد ذلك للصدور عام 1955م وتوقفت عام 1957م بعدما صدر منها نحو 69 عددا.

وهناك جرائد أخرى صدرت بتطوان خلال المرحلة الثانية التي أطلقنا عليها وصف مرحلة الازدهار، وأشير إليها فيما يأتي مكتفيا بذكر معلومات قليلة عنها وخاصة سنة التأسيس وذلك حسب الترتيب الزمني :

1. جريدة افريقيا : وكانت صفحة محررة بالعربية من جريدة La gaceta de Africa الاسبانية وقد أصدرت صفحتها العربية عام 1354 هـ ــ 1935م.

2. الجريدة الرسمية لوزارة الأوقاف بالمنطقة : وقد أسست سنة 1356 هـ ــ 1937م.

3. بريد الصباح : كانت تصدر في صفحة واحدة، واستمرت تصدر نحوا من 18 سنة، أسست سنة 1365 هـ ــ 1945م وكان يحررها الأستاذ محمد الوزاني، أخ الأستاذ التهامي الوزاني.

4. جريدة الشهاب : وكانت جريدة أسبوعية مغربية جامعة، كما يقول شعارها، أسست سنة 1365 هـ ــ 1946م، وكان يحررها ويديرها الأستاذ محمد العربي الشويخ، واستمرت تصدر إلى أوائل عهد الاستقلال.

5. الرابطة الرياضية : أسست سنة 1951م وهي جريدة رياضية، وكان يصدرها الأستاذ بركة الريسوني.

ب. المجـــلات :

وقد ظهرت في مرحلة ازدهار الصحافة بتطوان، أي في المرحلة الثانية من مراحل العمل الصحفي بها، عدة مجلات مهتمة بنواح متعددة. تاريخية وأدبية وفنية واجتماعية، وذلك حسبما ياتي :

1. **مجلة السلام** : صاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ المؤرخ محمد داود، صدر الجزء الأول منها بتاريخ جمادى الأخيرة 1352 هـ ـــ اكتوبر 1933م، يصفها شعارها بأنها مجلة شهرية مصورة جامعة، وهي مجلة وطنية اصلاحية تاريخية أدبية، وعنيت بنشر الصور التاريخية التذكارية، صور المآثر العمرانية والشخصيات العلمية والسياسية للعصر.

2. **مجلة المغرب الجديد**: وهي مجلة أدبية ثقافية اجتماعية، أشرف عليها وحررها الأستاذ الشيخ محمد مكي الناصري، وتولى ادارتها الأستاذ محمد العربي جلون، وقد صدر العدد الأول منها بتاريخ ربيع الأول 1354 هـ [9] ـــ يونيو 1935م، وعاشت هذه المجلة تحت الرقابة السلطوية مثل غيرها من مجلات وجرائد العهد، وبالغ الرقيب السلطوي في اعلان رقابته عليها حتى طبع على غلاف عددها الخامس عشر الصادر بتاريخ فاتح جمادى الأولى عام 1355 هـ وعددها السادس عشر الصادر بتاريخ 15 جمادى الأولى 1355 هـ ـــ 4 غشت 1936م عبارة : «أشرت عليها الرقابة» بهذه الكلمات الاسبانية : Visado por la censura.

3. **مجلة الارشاد الديني** : وهي مجلة ثقافية اسلامية، أسسا وأدارها الأستاذ العلامة محمد الطنجي التطواني لبث الوعي الديني في النفوس ومحاربة البدع، وارشاد الناس للاسلام ومبادئه بناء على عقيدة السلف، وقد صدر أول عدد منها بتاريخ ذي القعدة 1357 هـ ـــ يناير 1939م.

4. **مجلة الأنيس** : أسست عام 1365 هـ ـــ 1946م، مديرها المسؤول محمد المراكشي، الذي استمر يديرها حتى وافته منيته شابا في شهر رجب 1367 هـ

---

(9) هذا هو الصواب في التاريخ الهجري لصدورها على خلاف ما هو مكتوب على الصفحة الأولى من أول أعدادها والذي أرخ للصدور بعام 1345هـ، إذ هو خطأ، بدليل التاريخ الميلادي المذكور على نفس الصفحة، وهو يونيو 1935م وبدليل ما هو مذكور على أول صفحة من عددها الثاني الصادر حسب المجلة بتاريخ ربيع الثاني 1354هـ ـــ يوليو 1935م أي بعد شهر من صدور العدد الأول.

ـ 1948م، وقام بعد ذلك بإدارتها محمد الجحرة من رفقائه وكتاب المجلة، وكانت مجلة أدبية جامعة، وقفت منها على ستة وسبعين عددا، آخرها عدد مايو 1953م.

5. **مجلة لسان الدين** : وهي مجلة دينية أدبية جامعة، أسسها العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي عام 1365 هـ ـ 1946م، ثم أسند رئاستها لما غادر المغرب إلى الشرق للعلامة السيد عبد الله كنون، وقام بإدارتها الأستاذ محمد بن محمد بن فريحة، وكانت المجلة ذات اتجاه سني سلفي وطني.

6. **مجلة الأنوار** : وهي مجلة ثقافية أدبية متنوعة، تولى رئاسة تحريرها الأستاذ أحمد مدينة، وكان مديرها الفني عبد الكريم داود، وقد صدر العدد الأول منها في يناير 1946م، ويظهر أن الهدف الأول منها كان العناية بالفنون كالسينما والمسرح والأدب، ثم صارت تتسع للدراسات والأبحاث الأدبية والعلمية والتاريخية ومختلف الموضوعات عدا السياسة.

7. **مجلة المعرفة** : وهي مجلة نصف شهرية للعلوم والاداب والفنون، تولى رئاسة تحريرها الأستاذ حسن أحمد المصمودي، وكانت تعنى بالشؤون المغربية في السياسة والاجتماع وشؤون البلاد العربية، وكثيرا ما كانت تورد تصريحات الزعيم محمد ابن الحسن الوزاني، وقد أسست سنة 1366هـ ـ 1946م.

وقد استمرت هذه المجلة تصدر إلى عام 1956م، وآخر عدد اطلعت عليه منها يحمل تاريخ 1 فبراير من نفس السنة.

8. **مجلة المعتمد** : وكانت تهدف إلى أن تكون همزة وصل بين الشرق والغرب عن طريق ترجمة الروائع العربية والاسبانية، كما يقول شعارها، وتشتمل على قسمين : قسم باللغة العربية، وكان يشرف على تحريره الأستاذ محمد الصباغ، وقسم باللغة الاسبانية، وكان يشرف على تحريره بيوكوميث نيسا، وقد شرع اصدارها عام 1948م، وتبعا لشعارها نجد في هذه المجلة مقتطفات من الأدب الاسباني مترجمة إلى العربية ومقتطفات من الأدب العربي مترجمة للاسبانية، وقد صدرت إلى غاية عام 1955م.

9. **مجلة كتامة** : وهي ملحق أدبي بالعربية والاسبانية لمجلة «تمودة» التي كانت تصدر بتطوان باللغة الاسبانية، وقد صدر العدد الأول من مجلة كتامة بتاريخ

يونيو 1953م. وتولى ادارتها الاسباني خاسنطو خرخي، وكانت تقدم مقتطفات من الأدبين العربي والاسباني، وقد ساهم في تحرير القسم العربي والترجمة عدد من الأساتذة المغاربة، منهم محمد الصباغ وعبد اللطيف الخطيب ومحمد العربي الخطابي، وكانت من وسائل الاتصال بين الأدبين العربي والاسباني، وقد صدر منها ثلاثة عشر عددا، آخرها عدد ديسمبر 1959م.

10. **مجلة القوانين المغربية**، وهي مجلة للدراسات القانونية والقضائية، كانت تعنى بنشر الظهائر والقوانين والتعليق عليها ونشر الأحكام المهمة الصادرة عن المحاكم، ونشر الأخبار المتعلقة بالعدالة وسيرها وغير ذلك من المسائل المتعلقة بالقوانين والمحاكم، وقد أنشأ هذه المجلة وأدارها الأستاذ المحامي القانوني اللبناني موسى عبود، وصدر عددها الأول بتاريخ يناير 1954م.

وقفت من هذه المجلة على ستة أعداد، آخرها عدد يونيه 1955م وهو العدد السادس.

11. **مجلة الحديقة** : وهي مجلة ثقافية أدبية أخلاقية، شرع في اصدارها عام 1374هـ ــ 1955م وتولى إدارتها الأستاذ الأديب المطلع محمد بوخبزة وجماعة من أصحابه، وكانت هؤلاء يومئذ طلاب علم بالمدارس، وكان الأستاذ محمد بوخبزة يصدر مقدمتها برسائل إلى قرائه في مواضيع دينية وأدبية وخلقية.

وقد صدر منها خمسة أعداد، آخرها العدد الخامس المؤرخ بشهر رمضان 1374هـ ــ أبريل 1955م.

البحث

لقد نما البحث في هذه الفترة، وخاصة بعد الأربعينات، عندما أخذت مؤسسات البحث الرسمية كمعهد مولاي الحسن ومعهد الجنرال فرانكو للأبحاث تبذل المجهود في مجال الأبحاث المتعلقة بالمغرب والأندلس والحضارة العربية الاسلامية في المشرق والمغرب، ولقد كان يطبع جو البحث والدراسات نوع من التنافس بين الباحثين والدارسين للابداع والاجادة، وكان غرض الباحثين المغاربة المشاركين في هذا

الميدان تأكيد الهوية الوطنية وأصالة الثقافة العربية الإسلامية والتأكيد على وجود نهضة قومية فكرية تدل على النضج والوعي وحق المغاربة في استرجاع حريتهم وكرامتهم، وكان غرض الاسبان المشاركين في الأبحاث والمؤطرين لبعض نواحيها إظهار ما بين تاريخهم والتاريخ المغربي والاسلامي من صلات أدبية وثقافية، وتكريس ذلك للتقارب مع العالم العربي والاستفادة من صداقته ودعمه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، واظهار معالم الصداقة المغربية الاسبانية في مجال التعاون الفكري والأدبي، واظهار كفاءة الباحث الاسباني، وقدرته على العمل في المكتبات وتنظيمها والمحافظة على ذخائرها وتنميتها.

وكانت النتيجة استفادة الأدب المغربي في مجال الابحاث والدراسات للكتب التي ألفت والأبحاث التي أنجزت والمكتبات التي نظمت.

وقد كان أول معهد أسس للقيام بالدراسات المغربية والأندلسية، هو معهد مولاي الحسن للأبحاث، وذلك بمقتضى ظهير خليفي صدر بتاريخ 27 ذي القعدة 1355هـ ــ 8 فبراير 1937م، ونص في انشائه على أن المعهد سيكون مركزا لتنمية الأبحاث والدراسات في مجال الثقافة الاسلامية، وعلى أن يكون صلة وصل بين الثقافتين العربية والاسبانية، وعلى أن لغة المعهد هي العربية، وقد أسندت ادارته للأستاذ الشيخ محمد المكي الناصري الذي بذل جهودا كبيرة في سبيل نجاح هذا المعهد وقيامه بالدور المنوط به وقطف ثمار هذه المؤسسة في أسرع وقت ممكن، وقد ذهب الشيخ في مهمة إلى مصر لجلب الأساتذة المصريين الذين عززوا نشاط المعهد بأبحاثهم ودروسهم ودراساتهم، وكانت مهمة المعهد مزدوجة، إذ كان في أول الأمر، وإلى غاية عام 1940م يقوم بمهمة التعليم كمؤسسة للتعليم الثانوي، كما كان يقوم بأعمال البحث والدراسات، وفي عام 1940م عندما أسس معهد مولاي المهدي للتعليم الثانوي، صار معهد مولاي الحسن متخصصا في مجال البحث والدراسات فقط، ونهض معهد مولاي المهدي بمهمة التعليم، وقد وصلت بعثة التعليم المصرية إلى تطوان يوم 24 يناير عام 1939م، وكانت تتألف من هؤلاء الأساتذة : حسين أحمد الابياري ويونس مهران، ومحمد اسحاق وهبي، وحافظ متولي، وعبد الجليل خليفة، وحسين أمين ابراهيم [10]. وقد استفاد المعهد كثيرا من علم هؤلاء الأساتذة وأدبهم، كل في مجال تخصصه.

Historia de la accion cultural : 799 (10)

وقد نص ظهير 16 أبريل 1943م المتعلق بالمعهد على مقتضيات جديدة وتوضيحية، تبين بتفصيل مجال الأبحاث التي سيضطلع بها والمؤسسات الادارية والتربوية التي يرتبط بها وطبيعة الادارة التي تشرف على شؤونه، فقد نص الفصل الثاني من الظهير على أن المعهد سيعمل تحت اشراف مندوبية التعليم والثقافة والمجلس الأعلى للتعليم الاسلامي، ونص الفصل الثالث منه على أنه سيكون إلى جانب المدير المغربي مساعد اسباني يقوم بمهمة ربط العلاقات بمؤسسات البحث الاسبانية بالاضافة إلى أمانة أو كتابة خاصة (سكريتارية)، ونص الفصل الرابع على أن موضوعات البحث ستنحصر في هذه المواضيع :

1. اللغة والأدب العربيان.
2. تاريخ المغرب.
3. جغرافية المغرب ووصف الأجناس البشرية.
4. الفقه الاسلامي والخطط الاسلامية.
5. علم الاجتماع و(الفلكلور) المغربي.
6. القانون العام للحماية والتشريع مقارنا بالقانون والتشريع في منطقة الحماية الفرنسية ودول شمال افريقيا.
7. حركات النهضة في العالم الاسلامي.
8. جغرافية وتاريخ الدول العربية.
9. الحفريات وتاريخ المغرب قبل الاسلام.
10. الفن المغربي.
11. الفلسفة الاسلامية المقارنة بالفلسفة القديمة والمعاصرة.
12. الحضارة العربية الاسبانية.
13. الترجمة والنشر.
14. التبادل الثقافي والاتصال بمراكز البحث والدراسات العربية والاسبانية والدول الأخرى.
15. الدعاية والبعثات العلمية الجماعية والفردية.
16. يمكن للمعهد أن يخلق جوائز خاصة بطريق اجراء مسابقات حول مواضيع ثقافية يعلن عنها وعن شروطها.
17. لغة المعهد الرسمية هي العربية.

وتطبيقا لمقتضيات الظهير السابق عين الباحث الاسباني المعروف مريانو بلاو Mariano Palau عام 1944م مديرا مساعدا، وكان يحمل اجازة في الفلسفة والآداب (شعبة فقه اللغة السامية) وفي عام 1950م عين الأستاذ محمد بن تاويت في منصب (سكرتير). وفي عام 1948م عين الأستاذ عبد الله كنون مديرا للمعهد خلفا للشيخ المكي الناصري.

وقد ذهب بلديراما Valderrama إلى أن العمل الحقيقي للمعهد في مجال البحث إنما وقع الشروع فيه عام 1943م عندما أخذ يقوم باتصالات مع الدوائر العلمية في الشرق والغرب لتحقيق غاياته في مجالات التبادل الثقافي (11).

وقد زود المعهد بمكتبة غنية هي مكتبة معهد مولاي الحسن التي سنتحدث عنها بين مكتبات تطوان لهذه الفترة.

وقد ساهم معهد مولاي الحسن للابحاث في مجال اثراء الحركة العلمية والأدبية بالمغرب بنشر عدد من المؤلفات العلمية والأدبية لعلماء وأدباء مغاربة ومشارقة واسبان، واستعمل لهذه الغاية مطابع شرقية ومغربية، وبفضل ذلك ظهرت الدراسات الآتية في عالم النشر، وهي :

1. ابن خلدون للاستاذ عبد الله عنان (ط القاهرة 1938م).
2. رحلة ابن جبير وابن بطوطة، للدكتور محمد مصطفى زياد (ط. القاهرة 1939م).
3. أزهار الرياض في أخبار عياض لاحمد المقري التلمساني، تحقيق : مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ الشلبي (ط. القاهرة 1358هـ — 1939م).
4. الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، لآدم متز، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة (ط. القاهرة 1359هـ — 1940م).
5. تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ليوسف أشباخ. ترجمة محمد عبد الله عنان (ط. القاهرة 1359هـ — 1340م).
6. فهرس الكتب الأجنبية والعربية الموجودة بخزانة معهد مولاي الحسن، من عمل الأستاذ محمد وهبي (ط. تطوان 1942م).

---

(11) Historia de la accion cultural : 803

7. أمام الذكرى المائوية السابعة لوفاة ابن البيطار، لمؤلفه خوليو كولاألبريش، ترجمة نجيب أبوملهم (ط. تطوان 1948م).
8. واحة الفكر الأستاذ عبد الله كنون (ط. تطوان 1948م).
9. الأجناس البشرية في افريقيا الشمالية، لخوليو ألبريش، ترجمة نجيب أبوملهم (ط. تطوان 1948م).
10. بنو عباد باشبيلية، لعبد السلام أحمد الطود (ط. تطوان 1949م).
11. العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، للأستاذ محمد المنوني (ط تطوان 1950م).
12. دليل مؤرخ المغرب الأقصى، للاستاذ عبد السلام ابن سودة (ط. تطوان 1950م).
13. ضون أنخيل كونزاليث بلينثيا بالعربية والاسبانية (ط. تطوان 1950م).
14. حيات وكرامات الصوفي التطواني عبد السلام ابن ريسون، للاستاذ عبد الرحيم جبور العدوي، نص بالعربية والاسبانية (ط. تطوان 1951م).
15. فداء قائد البحر الجزائري بيبي، الأسير بميورقة، للدكتور خوان خنيس، بالعربية والاسبانية (ط. تطوان 1952م).
16. لباب المحصل في أصول الدّين، لعبد الرحمن ابن خلدون، ترجمة وتعليق لوسيانو روبيو، النص العربي (ط. تطوان 1952م).
17. فهرس المؤلفين (القسم الأجنبي) لخزانة معهد مولاي الحسن، من عمل ماريانو ارياس بلاو (ط. تطوان 1953م).
18. كناش الحائك التطواني، لفرناندو بالديراما مرتنيث، النص العربي (ط تطوان 1953م).
19. الطبيعيون الاسبان بالمغرب، لطوماس فغيراس، ترجمه إلى العربية نجيب أبوملهم (ط. تطوان 1953م).
20. جوائز (مرويكوس) والمغرب للآداب (ط. تطوان 1953م).
21. الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب (جائزة معهد مولاي الحسن 1948م) للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله (ط. تطوان 1953م).
22. تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى (جائزة معهد مولاي الحسن 1952م لعبد الرحيم غنيمة (ط. تطوان 1953م).

23. ركب الحاج إلى مكة، للأستاذ محمد المنوني (ط. تطوان 1953م).
24. رسائل سعدية، للاستاذ عبد الله كنون (ط. تطوان 1954م).
25. ابن الأبار، حياته ومؤلفاته (جائزة المعهد 1951م) لعبد العزيز عبد المجيد (ط. تطوان 1954م).
26. جوائز (مرويكوس) والمغرب للآداب 1954م. نصوص بالعربية والاسبانية (ط تطوان 1955م).
27. البحرية العربية في البحر الأبيط المتوسط على عهد معاوية لولهم هوبرباخ، النص العربي (ط. تطوان 1955م).
28. الريف بعد الفتح الاسلامي، لمحمد البوعياشي (ط. تطوان 1955م).
29. كتاب الفلاحة لابن بصال، النص العربي مع ترجمته بالاسبانية للاستاذين ماريا فيكروسا، ومحمد عزيمان (ط. تطوان 1955م).
30. سلسلة مشاهير رجال المغرب للاستاذ عبد الله كنون، واشتملت على التراجم الآتية :

- أبو فارس عبد العزيز الفشتالي
- أبو القاسم الزياني
- أبو عبد الله محمد ابن ادريس العمراوي
- أبو عبد الله محمد أكنسوس المراكشي
- أبو جعفر أحمد بن عطية
- أبو العباس الجراوي
- ميمون الخطابي
- أبو الحكم مالك بن المرحل السبتي
- أبو فارس عبد العزيز الملزوزي
- الأمير أبو الربيع سليمان الموحدي
- أبو عمر عثمان السلالجي
- أبو عبد الله محمد ابن غازي العثماني المكناسي
- أبو عبد الله محمد بن زاكور الفاسي
- أبو عبد الله محمد بن الطيب العلمي
- أبو العباس ابن الونان

ـ محمد ابن عبدون المكناسي
ـ أبو بكر محمد بن شبرين السبتي
ـ أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد السبتي
ـ أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي
ـ أبو عبد الله محمد ابن آجروم الفاسي وأبو زيد عبد الرحمٰن المكودي.
ـ أبو قاسم محمد الشريف الغرناطي
ـ أبو عبد الله محمد بن الحاج الفاسي
ـ أبو العباس أحمد البرنوصي (زروق) الفاسي
ـ الشريف الادريسي
ـ ابن بطوطة

31. كتاب بسيط الأرض في الطول والعرض، لابن سعيد المغربي، تحقيق د. خوان خنيس (ط. تطوان 1958م).
32. البيان المغرب لابن عذاري، تحقيق أمبروسي ميراندة بمشاركة محمد بن تاويت ومحمد بن ابراهيم الكتاني (ط. تطوان. دار كريماديس 1960م).
33. مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا، تحقيق الأستاذ عبد الله كنون (ط. تطوان 1384هـ ـ 1964م).

وكان المعهد الثاني الذي أسس للقيام بالأبحاث والدراسات هو معهد الجنرال فرانكو للدراسات والأبحاث الاسبانية العربية، الذي خصصت له ميزانية خاصة كمؤسسة رسمية ابتداء من عام 1941م، وكان مديرها هذا المعهد ومؤسسه هو الكتاب الاسباني طوماس فغيراس الذي كان يعمل في الادارة الاسبانية بالمغرب [12].

وكان الغرض من انشاء المعهد تشجيع البحث في ميدان معرفة التراث العربي والاسلامي بالمغرب والأندلس، وانجاز أبحاث ثقافية مشتركة عن التايخ المغربي والأندلسي مما يكتب باللغة الاسبانية، فكانت لغة المعهد الأولى على هذا هي الاسبانية، كما أن الجوائز التي كان يعطيها المعهد كانت تخصص للابحاث والدراسات التي تكتب بالاسبانية، وقد قام هذا المعهد بطبع عدد من الدراسات العلمية والأدبية عن المغرب والأندلس، يزيد عددها على مائة دراسة، وكانت أول مرحلة من المراحل

(12) Historia de la accion cultural : 816

التي قطعها هذا المعهد تتمثل في تكوين لجنة بحث مكلفة بفهرسة مخطوطات المنطقة، وصدر ظهير بذلك مؤرخ بفاتح فبراير 1938م، وقد عمل الأستاذ ألفريد البستاني في نطاق هذه المهمة فشرع في البحث عن المؤلفات والوثائق العربية والاسلامية، وسافر لهذه الغاية إلى مدن وقرى بالمغرب والأندلس، وعثر أثناء تجواله على كتاب الكليات لابي الوليد ابن رشد في نواحي غرناطة [13] وفي سنة 1942م تم تحديث الشروط التي يقوم بمقتضاها المعهد بنشر المؤلفات العلمية والأدبية التي تحظى بالقبول، كما تم تكوين لجنة استشارية دائمة من خمسة أعضاء، وهم :

ـــ كارلوس كيروس، مدير معهد الدراسات المغربية.
ـــ كيرمو كوسيفانو، رئيس المكتبة العامة للحماية.
ـــ فرنسيسكو أرباكا، قنصل اسبانيا بتطوان.
ـــ أحمد الرهوني، رئيس المجلس الأعلى للتعليم الاسلامي.
ـــ محمد عزيمان، مفتش التعليم الثانوي.

وفي يناير من عام 1949م أسندت ادارة هذا المعهد إلى انريكي فرنانديث، ومهمة السكريتارية إلى فلنتين كنطيرو، واستمر ألفريد البستاني في عمله المذكور كمترجم. وفي عام 1950م انضم إلى هيئة الادارة الأستاذ محمد بن تاويت كباحث [14].

وقد نشر المعهد مؤلفات بالعربية والاسبانية زاد عددها على مائة كتاب، كما تقدم، ومن بينها كتاب الكليات لابي الوليد ابن رشد، وكتاب تحفة القادم لابن الابار، ومختارات من شعر ابن زاكور، ورحلة الوزير في افتكاك الأسير للوزير الغساني، وكتاب الرحلة المكية للفقيه أحمد الرهوني، وكتاب الأبحاث السامية في المحاكم الاسلامية للفقيه محمد المرير التطواني، وكتاب المدن والمؤسسات الحضرية في الغرب الاسلامي خلال القرون الوسطى، تأليف ليفي بروفنسال، وكتاب أصيلا في فترة الاحتلال البرتغالي (1471 ـــ 1549م) تأليف أضلفو غيفاراؤ وكتاب الموسيقى الاسلامية العربية بالمغرب، تأليف الأب بطروثينو بريوسو، وكتاب الحلل الموشية، وكتاب سفارة الغزال،

---

(13) Ybid : 816

(14) Ybid : 816-819

لطوماس فغيراس وكتاب فهرسة المؤلفين بمكتبة الحماية بتطوان، وكتاب العادات والأعراف القديمة بتطوان، لعبد الرحيم جبور العدي (15).

وإلى جانب المؤسستين المذكورتين : معهد مولاي الحسن ومعهد الجنرال فرانكو اللتين عملتا في مجال البحث والدراسات، ظهرت مؤسسات أخرى تعليمية وإدارية، شاركت في مجال البحث، وأكثر الأعمال التي صدرت عنها كانت باللغة الاسبانية، وهي مركز الدراسات المغربية El centro de Estudios Marroquies ومفتشية الحرفيات Inspaccion de Excavaciones ، ومكتب الترجمة وكانت المؤسسة الأولى منها تفرعت عن الجهود التي بذلت ولغايات استعمارية أول الأمر لتعليم العربية والبربرية للاسبان، وخاصة الذين يتولون في المنطقة مهام عسكرية وادارية، حيث تأسست في هذا النطاق أكاديمية العربية الدارجة بمليلية عام 1904م، وأكاديمية اللغة العربية بسبتة ومليلية عام 1906م، وأكاديمية العربية بالعرائش عام 1913م وأكاديمية أخرى بتطوان عام 1924م، وقد قامت هذه الأكاديمية بتعليم العربية، وخاصة العربية الدارجة، والبربرية الريفية (الشلحة) وكان أكثر المتعلمين من العسكريين الاسبان، وقد عمل في أكاديمية تطوان الاستاذان اللبنانيان موسى عبود وألفريد البستاني المسيحيان المارونيان (16) ابتداء من عام 1937م، وقد تطور العمل في هذا المجال إلى فكرة خلق مركز للدراسات المغربية التي نص عليه ظهير فاتح حمادي الثانية 1366هـ ـــ 22 أبريل 1947م، وكان الغرض من إنشائه كما يقول الفصل الأول منه تكوين الموظفين الذين سيقدمون للحماية خدمات في ثقافة هي مغربية بالأساس، مع نشر هذه الثقافة في المنطقة والتبادل الثقافي مع المنظمات بالخارج، وتنمية الابحاث والدراسات العلمية حول القضايا المغربية، وكانت الشهادات التي يعطيها المركز هي الشهادات في الدراسة وشهادة الدراسات المتوسطة في الترجمة، ونص الفصل 38 من الظهير على تنظيم محاضرات وحلقات دراسية حول مواضيع اسبانية مغربية، والقيام بربط اتصالات ثقافية مع مراكز الاستعراب والدراسات الافريقية بالخارج، وتسهيل مهمة البحث العلمي في المغرب في جميع المجالات.

---

(15) عبد الرحيم جبور كاتب أديب اشتغل بالتعليم وصار ترجمانا، وألقى عددا من المحاضرات، طبع بعضها، وأكثرها عن تطوان ورجالها، ومنها كتابه عن العادات التطوانية وعن السيد عبد السلام بن ريسون وعن العائلات التطوانية الأندلسية الأصل، توفي بتطوان في أوائل السبعينات.

(16) Historia de la accion cultural : 499-511

وقد نظم المركز بالفعل محاضرات في مواضيع متعددة، أذكر منها على سبيل المثال :

ــ محاضرة عن المغرب قبل الاسلام.
ــ الهجرات الاسلامية الكبرى : العربية والمرابطية والموحدية والمرينية
ــ أصول الجنسية الاسبانية
ــ الحسبة في الاسلام لعبد الرحيم جبور
ــ الميثولوجية الاغريقية في المعلقات الجاهلية لافريد البستاني
ــ السلط في الاسلام
ــ نظرة على تطوان وعائلاتها الأندلسية المنحدرة من الأندلس لعبد الرحيم جبور.
ــ الشيخ محمد عبده لموسى عبود
ــ اسبانيون في افريقيا في القرن 16 لطوماس فغراس.
ــ انحراف الأحداث
ــ المرأة في اسبانيا المسلمة
ــ منهجية تعليم اللغات
ــ لماذا لم يوجد مسرح في الأدب العربي، لنجيب أبو ملهم، الأستاذ بالمركز.

وهناك محاضرات أخرى كثيرة أشرف المركز على تنظيمها في مختلف فروع المعرفة ومجالات الاتصال الثقافي بين العالمين العربي والمغربي والأندلسي (17).

وقام المركز المذكور بنشر عدد من هذه الأبحاث والدراسات، ويبلغ عدد ما نشر منها تسع عشرة دراسة (18) حول الاسلام والحضارة الاسلامية والمغربية والعلاقات المغربية الاسبانية.

وقامت مصلحة مفتشية الحفريات بنشر عدد من الدراسات في المجال الذي يهمها، ومنها ملخص مذكرة لها حول الأعمال المنجزة في أطلال مركوري وطيرناي (الناحية الغربية من شمال المغرب) لمؤلفها منطلبان Montalban وترجمها للعربية ألفريد

---

(17) Ybid : 512-526

(18) Ybid : 834-835

البستاني ومنها سلسلة حفريات تمودة للكاتب آطوري Atauri وترجمتها للمترجم المذكور، ومنها تاريخ خرائب غساسة للكاتب برديرا Perdera إلى غيرها من الأبحاث القيمة والفريدة [19].

واضطلع مكتب الترجمة التابع لنيابة الأمور الوطنية بعمل مماثل في مجال الترجمة والتأليف، وكان يتكون من الأستاذين موسى عبود ونجيب أبو ملهم، وكان انشاء المكتب عام 1945م، ودارت أعمال الترجمة والتأليف حول الأدب الاسباني والأدباء الاسبان [20].

المكتبـــات

توجد بتطوان مكتبات عامة ومكتبات خاصة وسأتحدث أولا عن المكتبات العامة ثم عن المكتبات الخاصة، وأتحدث بعد هذا عن المخطوطات والوثائق لمدينة تطوان.

أ. المكتبات العامة :

المكتبات العامة التي توجد بهذه المدينة والتي اعتمدها الباحثون والدارسون خلال هذه الفترة ثلاثة، وهي مكتبة المسجد الأعظم والمكتبة العامة والمحفوظات، ومكتبة معهد مولاي الحسن للأبحاث.

أولا : مكتبة المسجد الأعظم :

وتعرف بمكتبة المعهد الديني العالي، وذلك لأنها نقلت إلى مقر هذا المعهد بدار ابن عبود بالملاح البالي، وقد كان المسجد الأعظم بتطوان من بين المساجد بالمغرب التي تتوفر على مكتبة قيمة مما يوقفه المحبسون على الطلبة والفقهاء ابتغاء رضوان الله، ويرجع تاريخ هذه المكتبة إلى أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي أرسل كتبا حبسها على المساجد إلى عدد من المدن، وكانت تطوان من بينها،

Ybid : 832-834 (19)

Ybid : 835-836 (20)

ونمت هذه المكتبة منذ عهد هذا السلطان، وكان مقرها أولا في مقصورة الجامع الكبير، وعندما وقع الفراغ من بناء مدرسة لوقش (1165 ـــ 1171هـ 1751 ـــ 1757م) نقلت إلى مقر هذه المدرسة حيث وضعت في غرفة بالطابق الأعلى منها، وظلت هناك عددا من السنين، قبل نقلها من جديد إلى المسجد الكبير (الجامع الكبير) بسبب رغبة القائمين على المدرسة في تخصيص الغرفة المذكورة لسكنى الطلبة، وعندما نقل المعهد الديني العالي بتطوان إلى مقره بدار ابن عبود عام 1367هـ ـــ 1947م خصصت لمكتبة المسجد به قاعة واسعة بالطبقة الأولى، مجهزة تجهيزا حسنا ذات مقاعد ومناضد وخزانات، وأسندت مهمة الاشراف على المكتبة إلى قيم وكانت تفتح أبوابها في الساعة الحادية عشرة إلى الواحدة بعد الزوال، ومن الساعة الرابعة مساء إلى السادسة، وكانت الكتب التي تتوفر عليها عند نقلها إلى مقرها الجديد يصل عددها إلى ألف وخمسمائة كتاب، يوجد من بينها واحد وتسعون كتابا مما كانت تتوفر عليه الخزانة القديمة للجامع الكبير (21) ويتألف حجم هذه المكتبة من :

1. الكتب التي حبسها السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وعدد ما كان يوجد بها منها ثمانية عشر كتابا، منها عشرة كانت لا تزال في أواخر الخمسينات من القرن العشرين في حالة جيدة، وهذه أسماء الكتب المذكورة :

- شرح المواق على المختصر
- شرح فتح الفتاح للحسن بن رحّال على المختصر
- مسند الامام أحمد
- شرح الكرماني على البخاري
- التوضيح لابن الحاجب
- كتاب النوادر لابن أبي زيد القيرواني
- شرح الخرشي على المختصر
- التوشيح في مشاكل الجامع الصحيح لجلال الدين السيوطي
- شرح الشهاب على الشفا للقاضي عياض
- كتاب المنح المكية في شرح الهمزية لابن حجر

(21) «El instituto religioso de Tetuan» p. 594

ـ مقدمات ابن رشد

ـ تفسير ابن عطية

ـ كتاب مساند الايمة للسلطان سيدي محمد بن عبد الله

ـ شرح أسماء الله الحسنى للسنوسي

ـ شرح بهرام على المختصر

ـ كتاب الجامع الصغير للسيوطي

ـ شرح ابن حجر على البخاري

ـ تعليق السيوطي على أرجوزة عقود الجمان في علم المعاني

2. أحباس وهبات لملوك آخرين، من بينهم السلطان مولاي رشيد بن الشريف والسلطان أحمد الذهبي السعدي من الكتب التي كانت توجد بمساجد أخرى، ونقلت بعد ذلك إلى مكتبة الجامع الكبير.

3. أوقاف لعدد من الخواص.

4. مشتريات من ميزانية المخزن مما اشتري من الشرق عام 1936م بواسطة مفتش التعليم الاسلامي آنذاك الأستاذ محمد داود، ومما اشتري عام 1946م من الشرق كذلك بواسطة مفتش التعليم الاسلامي الأستاذ محمد بن عبد السلام بن عبود.

5. مشتريات مباشرة للمعهد.

ومن الكتب التي أوقفها الخواص على مكتبة المسجد يوجد مصحف خطي مؤرخ بعام 559 هـ (1163م) وهو في 165 صفحة وعليه توقيع محمد بن حزب الله البلنسي، وهو المصحف الذي ذكر المقري أن العلامة ابن مرزوق الجد (توفي 781 هـ ـ 1379م) قرأ به تجاه الكعبة المشرفة اثنتي عشرة ألف ختمة ـ قال المقري : «ومع ذلك فقد نسي في المصحف المذكور لفظة (اليك) من قوله تعالى : ﴿ينقلب إليك البصر﴾ حتى كتبه بخطه فوق السطر حفيده العلامة سيدي أبو عبد الله محمد بن مرزوق [22]» وكان أول من تنبه لهذا المخطوط وأهميته العلامة الشاعر الوزير محمد بن موسى، وعن طريقه ذاع خبر وجوده، ويعتبر بحق (جوهرة هذه المكتبة)

(22) نفح الطيب 3 : 213.

ويوجد بالمكتبة كذلك تفسير حبس عام 1107 هـ ـ 1695م من قبل السيدة رقية بنت محمد الردنلو، وهي من أصل أندلسي، وقد انقرضت هذه العائلة بتطوان [23].

ثانيا : المكتبة العامة بتطوان :

وهي أكبر مكتبة توجد بتطوان، وقد مر تكوينها بمراحل حتى تم تأسيسها عندما خصصت لها ميزانية في عام 1941م، وكانت الدولة الاسبانية أرسلت عام 1914م نحو مائتي كتاب إلى الاقامة العامة الاسبانية بالمغرب في تطوان، كما أرسلت إليها كتب من باريس بقيمة ألف بسيطة، وأهديت إليها كتب من شخصيات اسبانية ومغربية، ومن بينهم محمد بنيعيش، والاسبانيون سرديرا Cardera وسانس اطبو Yatabu ومن المجمع العلمي والأدبي بتطوان.

وعندما وقع الظن بأن هذه المجموعة من الكتب صارت تكون مكتبة نظمت في شكل مكتبة تشرف عليها الكتابة العامة للاقامة، وشرع في تصنيفها وفهرستها، غير أنه لما كانت طبيعة هذه المؤسسة ادارية، فإن العمل المنجز لم يؤد إلى أكثر من حفظ تلك المؤلفات وعدم ضياعها.

وعندما أنشئت الأكاديمية العربية والبربرية عام 1929م، أخذت فكرة جعل المكتبة المذكورة تابعة لهذه المؤسسة تراود الخواطر، حتى تكون المكتبة في خدمة هذا الجهاز للاطلاع على المغرب وأحواله ومعرفة سكانه وتقديم خدمات للادارة في هذا المجال، ويستفيد أساتذة المؤسسة وطلابها من مؤلفاتها، وفي عام 1939م أسندت مهمة ادارة المكتبة إلى موظف مختص في شؤون المكتبات والمحفوظات، وهو الاسباني كالنت Gallent الذي قدم من اسبانيا لهذا الغرض [24].

وكان مقر المكتبة الأول في هذه المرحلة بالطابق السفلي من مركز الدراسات المغربية (الأكاديمية العربية والبربرية سابقا) الكائن بساحة الفدان، وفي عام 1940م دشن القسم العمومي للمكتبة العامة، وكان عدد المؤلفات التي تحتوي عليها تصل

---

(23) Historia de la accion cultural : 595

(24) Historia de la accion cultural : 695-696

إلى 4141 كتابا، وذلك بمقرها الجديد في الشارع الرئيسي للمدينة (شارع الجنرال فرانكو) الذي كان مقرا لادارة التعليم المغربي، وفي هذه المرحلة وقع اعداد فهارس لها.

وعندما نصت ميزانية عام 1941م على ايجاد هذه المكتبة العامة تضاعف حجم الكتب التي تحتويها بما كانت تشتريه من الميزانية المخصصة لها، وكذلك من الهبات ــ وان كان هذا بشكل أقل أهمية ــ التي كانت تتلقاها من الأشخاص والمبادلات.

وقد استطاعت المكتبة في هذه المرحلة أن تنشيء قسما خاصا للأطفال من الكتب التي وصلتها من اسبانيا والتي زادت على مائة كتاب، وجعل هذا القسم ضمن قسم المكتبة العامة إلى غاية عام 1944م، عندما حول القسم العام إلى بناية بساحة الفدان بينما ظلت المكتبة بجميع فروعها الأخرى في مقرها المذكور بشارع الجنرال فرانكو (25).

وفي عام 1943م صدر مرسوم بإنشاء إدارة للمحفوظات والمكتبات.

وفي عام 1944م أنشيء قسم لاعارة الكتب بقسم المكتبة العام.

وفي عام 1945م وقع الشروع في تكوين موظفين مختصين في شؤون المكتبات والمحفوظات، ونظمت حلقة دراسية لهذا الغرض، شارك فيها عدد من الاستاذة الاسبان، ومن بينهم مدير المكتبة كالنت.

ونقلت المكتبة آخر الأمر قبل الاستقلال إلى مقرها ببناية نيابة المعارف والثقافة، بتاريخ شتمبر 1945م، وكانت القاعة المخصصة للكتب تتسع لنحو خمسة وأربعين ألف مجلد.

وعندما ننظر إلى حجم هذه المكتبة وطريقة نموها، نرى أن عدد مؤلفاتها أول مرة كان يصل إلى 4500 كتاب، ثم تضاعف ذلك بفضل الميزانيات المخصصة لها، وهبات الأشخاص وكميات من الكتب كانت ترسلها إليها وزارة التعليم عبر المصلحة الوطنية للقراءة وكذلك من جهات ادارية مختلفة (26).

---

(25) Ybid : 696-697

(26) Ybid : 699

ولقد عمد المسؤولون عن الثقافة والمكتبة إلى شراء مكتبات كاملة من الخواص لتضم إلى المكتبة العامة والمحفوظات.

ففي عام 1944م اشتريت مكتبة العالم المحدث أحمد بن الصديق الغماري الدرقاوي، وكانت كتبها تبلغ 3433 كتابا مطبوع و 500 كتاب مخطوط، وتم الاتفاق على شراء هذه المخطوطات أواخر عام 1945م.

وفي عام 1944م كذلك، اشتريت مكتبة الاسباني لدرون غفارا Ladron de guevara من العرائش، وكانت تضم مخطوطات عربية.

وفي عام 1945م اشتريت مكتبة مهمة من طنجة، هي مكتبة أرساطي Orsati وأكثرها مرتبط بالدراسات الافريقية، ومعها أسطرلاب مغربي من القرن الثامن عشر ومربع شمسي ومخطوط عربي يضم مؤلفات في علم الفلك.

وفي عام 1947م اشتريت مجموعة أخرى من الكتب والمؤلفات والكراسات والمجلات من أرملة أرساطي المذكور.

وفي العام نفسه اشتري للمكتبة نحو مائة كراسة اسبانية، من مالكها بمدريد الاسباني صالا Sala ويرجع تاريخها للقرنين السابع عشر والثامن عشر.

وفي عام 1371 هـ ـــ 1952م اشتريت مكتبة الفقيه العلامة شيخ الجماعة بتطوان أحمد الزواقي الحسني في سنة وفاته وكانت تضم كتبا في الفقه والتفسير والحديث والأصول وغيرها.

والمطبوع منها موزع على هذا النحو :

بالعربية 6116

بالقسم الأجنبي 17850

بقسم النوادر 661

الكراسات 3148

المخطوط منها بالعربية .... 950 [27]

وقد تحدث الأستاذ عبد الله كنون عن هذه المكتبة وأهميتها فقال : «المكتبة

(27) Ybid : 699-700

العامة التي هي ثاني مكتبة عمومية بتطوان تحتوي على مخطوطات عربية، فنجد أن هذه المكتبة، وقد أنشئت من أمد قريب بها زهاء 900 مخطوط مما اشتري لها بالجملة والتفصيل، وفي الحقيقة أنها كلفت الحكومة مبالغ طائلة، لأنها كثيرا ما كانت تشتري المكتبة التي تحتوي على قليل من المخطوطات وكثير من المطبوعات، يعرضها للبيع صاحبها أو ورثته بعد موته، بثمن فاحش، فلا تماكسه في ذلك إلا قليلا، وحينما تتم الصفقة تضم المخطوطات إلى القسم الخاص بها على حين أن المطبوعات التي توجد لها نظائر في المكتبة تأخذ طريقها إلى مكتبات المعاهد الدراسية وبعض المكتبات العمومية في غير تطوان من مدن المنطقة» (28).

والمكتبة العامة تشتمل على أقسام فهناك قسم للمخطوطات والوثائق وهناك قسم للصحافة، وهناك قسم للوثائق العامة، وهناك قسم للصور وهناك قسم للدعاية والنشر.

وقسم المخطوطات والوثائق هو القسم الذي يشرف على المخطوطات العربية والوثائق ويقوم بفهرستها ويسهر على تقديمها للقراء والباحثين والمحافظة عليها، ولاشك أن ما قدمته من معلومات عن عدد مخطوطات هذا القسم يعطي فكرة عن أهميتها وفائدة العمل الذي يقوم به المشرفون عليه، وأما الوثائق فهي ذات أهمية كبرى في معرفة تاريخ المغرب وأسرار المواقف الاجتماعية والحركات السياسية.

وقسم الصحافة من أغنى أقسام هذه المكتبة، وكانت السلطة الاسبانية شرعت في تنظيم هذه المصلحة منذ عام 1920م، حيث كان هناك قسم صحفي تابع للاقامة العامة، وكان عام 1940م ذا أهمية كبرى في تاريخ هذا القسم حين اشترت الحكومة مجموعة صحف ارساطي التي كان قسم كبيرمنها يتعلق بالمغرب ما بين عامي 1900 و 1940 م وتتكون من 165 مجلد كل مجلد يتألف من ثلاثمائة صفحة، وتتضمن قصاصات الصحافة الاسبانية والدولية.

ومنذ عام 1946م صار قسم الصحافة تابعا لادارة المحفوظات والمكتبات وجعل مقره في البناية المخصصة للمكتبة العامة.

وقد ظفر هذا القسم بمجموعة أخرى من صحف سبتة تتكون من 733

---

(28) خل وبقل : 127 ــ 128.

نموذجا وهبها للمكتبة الاسباني كنثاليث Gonzalez عام 1947م

وهناك صحف ومجلات أخرى يحتويها هذا القسم، وإلى غاية عام 1956م كان عدد عناوين الصحف التي يضمها هذا القسم من الصحافة الأوربية يصل إلى 1863.

وكانت الصحف والمجلات العربية التي يضمها هذا القسم كذلك، تبلغ عناوينها 536 عنوانا [29] منها مجلات وصحف شرقية ومغربية، ومنها الصحف والمجلات التي كانت تصدر بتطوان والتي تحدثت عنها فيما سبق وقد اضطلع هذا القسم بوضع قصاصات جديدة للصحف، وفهرسة المواد الصحفية التي تصل إلى المكتبة.

وقسم المخطوطات بالمكتبة يشتمل على ملفات الموظفين المتقاعدين العسكريين المغاربة والاسبان الذين عملوا في شمال المغرب والصحراء، وكانت هذه الملفات توجد في ادارة الدولة كمراجع وثائقية، ثم أحيلت إلى المكتبة العامة، حيث صار يضمها قسم المخطوطات ابتداء من عام 1945م، وهي من المراجع التاريخية المهمة في معرفة تاريخ المغرب الحديث وعلاقته بالدولة الاسبانية [30].

وقسم الصور من أهم أقسام المكتبة، وترجع المواد التي يتكون منها إلى عام 1920، وهو نفس تاريخ بداية أو نشأة قسم الصحافة، ثم صار من أقسام المكتبة العامة بصفة رسمية منذ عام 1941، وهو يضم أشياء كثيرة من الصور والخرائط والمسكوكات والأفلام السينمائية وآلات العرض السينمائي والتصوير والفهارس، وصار هذا القسم يضم إلى قريب من عام 1956م نحو 36500 صورة، وتتعلق معظم الصور بالمغرب وشمال افريقيا والعالم العربي [31].

وقد حصلت من هذا القسم على لائحة تضم محتوياته من الأجهزة وغيرها وسأكتفي هنا من ذلك بذكر ما له علاقة بهذا البحث وذلك كما يأتي :

---

(29) Ybid : 712-713

(30) Ybid : 715

(31) Ybid : 717-718

أشرطة سينمائية

العدد 59

المسكوكات

1. القطع الذهبية .... 33 قطعة
2. القطع الفضية الموحدة .... 1099 قعطة
3. القطع المختلفة .... 768 قطعة
4. القطع المختلفة الغير مفهومة .... 21 قطعة
5. القطع المختلفة المكررة .... 62 قطعة
6. القطع المختلفة الألوان والأحجام .... 40 قطعة
7. (ملاحظة) : 48 منها تعرض في المتحف الأثري بتطوان

الصــــور

1. صور تاريخية سياسية ثقافية 35504
2. صور قديمة 150
3. الخرائط القديمة 431
4. الخرائط الحديثة 177

الأطلــس

1. الأطلس بلغات أجنبية 32
2. الأطلس بالعربية 29
3. مجلدات عن تاريخ مصر 11
4. كتب بالصور 10
5. جرائد قديمة 363

وكان قسم التوزيع والمبادلة والنشر أنشىء عام 1953م، وكان يوجه المطبوعات إلى عدد من الدول الأوروبية والعربية والافريقية والأسيوية والأمريكية، ويتلقى منها كذلك كتبا وصحفا ومجلات.

وكانت المكتبة تحتوي على مطبعة داخلية، طبعت عددا من فهارسها وأعمالها ونشراتها الثقافية، كما كانت تقوم بأعمال التجليد وصيانة الكتب المخطوطة والمطبوعة واصلاحها.

ثالثا : مكتبة معهد مولاي الحسن للأبحاث

هذه المكتبة من أهم مكتبات تطوان التي كان لها دور في هذه الفترة في اثراء البحث العلمي وتمكين الباحثين من وسائل النهوض بمهمتهم واعداد دراساتهم، وقد سعى المسؤولون عن الثقافة لهذه ألفترة إلى اقتناء كتب في مجالات الدراسات الاسلامية والعربية، ابتداء من عام 1938م عندما جلبت لهذا الغرض من مصر المجموعة الأولى من الكتب المخصصة لها، وصارت المكتبة في بداية الستينات تتوفر على 3500 كتاب بالعربية و 1400 بلغات أوروبية، وقد وضع لها فهرس لأول مرة عام 1942، وقد تولى هذه المهمة الأستاذ المصري محمد وهبي الملحق بالمعهد، ثم وضع لها المدير المساعد بلاو فهرسا جديدا عام 1953م على الطرق العلمية الجاري بها العمل في فهرسة الكتب (32).

ولقد سعى القائمون بشؤون هذا المعهد إلى تزويد المكتبة بمخطوطات تمكن الباحثين من القيام بمهامهم، وتم في هذا النطاق الاتصال بالمكتبة الوطنية بمدريد ومكتبة الاسكريال لمساعدة المكتبة للحصول على نسخ مصورة من مخطوطاتها، وسأذكر أسماء تلك المخطوطات لدى حديثي عن المخطوطات التي توجد بتطوان.

وتتوفر المكتبة بالاضافة إلى ذلك على مكروفيلم لنحو 100 رسالة عربية توجد أصولها في (أرشيف) مكتبة مدريد الوطنية (33).

ب. المكتبات الخاصة :

كانت بتطوان مكتبات خاصة، يملكها أصحابها، ويستفيدون منها، وقد يشركون معهم طلبتهم وأصدقاءهم في الفائدة بإعارتها أو اطلاعهم على بعض ذخائرها، ومن أهم مكتبات تطوان الخاصة لهذه الفترة مكتبة اليزيد بن صالح الذي

---

(32) Ybid : 803-804

(33) Ybid : 805

تولى منصب باشوية تطوان، وكانت تضم نحو 1000 مخطوط وسأتحدث عنها عند الكلام على المخطوطات بتطوان، ومنها مكتبة الحاج عبد السلام بنونة، ومكتبة العلامة أحمد الزواق، ومكتبة العلامة أحمد الرهوني، وقد ضمتا للمكتبة العامة بتطوان. ومكتبة الأستاذ المؤرخ محمد داود، وقد أوقفها على طلبة العلم، ويوجد مقرها في منزله بباب العقلة، ويوجد بها نحو مائة مخطوط، وكتب مطبوعة وجرائد ومجلات وصور وخطوط للعلماء وغيرهم ورسائل وغير ذلك، ومكتبة العلامة محمد بن الصادق الريسوني، وقد حبسها على الطلبة كذلك، ومكتبة الأستاذ الطريس، والتي صارت مكتبة عمومية، ويوجد مقرها قرب البناية الحالية للمكتبة العامة، ومكتبة الفقيه محمد الطنجي، وكان الاسبان صادروا هذه المكتبة ابان حوادث 1948م، ثم أرجعوا إليه بعضها، وقد تنازل عنها منذ سنوات للمكتبة العامة بتطوان، ومكتبة الفقيه محمد العربي اللوه الذي كان أستاذا بكلية أصول الدين، وقد وهبها لمكتبة هذه الكلية قبل وفاته، وهناك مكتبات أخرى لعدد كبير من الأساتذة ممن لازال على قيد الحياة، متعهم الله بالصحة وأدام النفع بهم، ووفقنا وإياهم لصالح الأعمال.

المخطوطات بتطوان

كانت تطوان منذ قرون مدينة من مدن العلم والثقافة، ومن المدن التي كانت توجد بها مخطوطات كثيرة، ولكن أكثرها ضاع خلال الحرب المغربية الاسبانية عام 1276 هـ — 1860م لكون الاسبان حرصوا على جمعها ونقلها إلى بلادهم عند احتلالهم للمدينة، وقد ذكر هذه الحقيقة الاستاذ عبد الله كنون مستدلا على ذلك بكونه أثناء زياراته المختلفة لمدريد العاصمة الاسبانية كان يتردد على المكتبة الأهلية ويتصفح مخطوطاتها واتضح له أن أكثريتها من أصل تطواني، مما نسخ بتطوان أو كان مالكه من تطوان، وأضاف إلى هذا أن من أسباب عدم وجود مخطوطات ومكتبات كثيرة بها بعد السبب المذكور الهزة العنيفة التي أحدثها اعلان الحماية بالمغرب عام 1912م والتي بسببها تشتت كثير من المكتبات العامة وانتقلت محتوياتها إلى الأيدي الأجنبية بطريق الشراء وغيره، ولابد أن تكون تطوان أصابها شيء من ذلك غير قليل، قال (34) «وهذه الملاحظة تظهرها على شيء آخر، وهو أن غالب ما تشتمل عليه

(34) خل وبقل : 121 — 122.

دور الكتب باسبانيا من المخطوطات العربية أصله من المغرب، فهذه المكتبة الأهلية قد علمنا أمرها، وكذلك مكتبة الاسكوريال التي تضم بين جدرانها عددا من المخطوطات العربية المهمة، فإنها إنما حصلت على هذه الثروة الفكرية الطائلة من المغرب السيء الحظ، حيث أن مركبا بحريا كان يحمل ذخائر للسلطان زيدان بن المنصور الذهبي، ومن جملتها 3000 مجلد من كتب التاريخ والأدب والفلسفة، واستولى عليها القراصنة الاسبان في نهاية القرن السادس عشر، وأضيفت تلك الكتب إلى خزانة الاسكوريال، فكونت قسم المخطوطات العربية الذي تزهى به تلك الخزانة... فليس الأصل اذن فيما يوجد باسبانيا من مخطوطات أن الأندلس كانت مهد الحضارة العربية مدة ثمانية قرون، وأن اسبانيا احتفظت بما استولت عليه من ذلك التراث عند طرد العرب — كما يظن كثير من الناس — وإنما الأصل هو ما ذكرنا، أما في تلك الأيام السود فإن الملوك الكاثوليكيين المتعصبين كانوا يحرقون الكتب العربية ويتلفونها استجابة لنصائح القسوس والرهبان... ولم يتفطن القوم إلى ما ضيعوه من ذلك الكنز الثمين الا بعد فوات الفوات، وحينئذ صاروا يتخطفونه حتى من عرض البحار».

وما من شك في أن هذا الذي يذكره الأستاذ كنون يظهر الماضي الأصيل لهذه المدينة وما كان لها من تراث يحق لها أن تفتخر به وأن تطمح بذلك إلى حاضر يضاهي الماضي أصالة وحفاظا على التراث والمكرمات، كأنما ما أراد الله تعالى أن يعوضها عن بعض ما فقدت، فأخذت ثروتها من المخطوطات تنمو منذ انشاء المكتبة العامة ومكتبة معهد مولاي الحسن، وكذلك بالجهود الفردية الخاصة التي جعلت كثيرا من الافراد يحصلون على مخطوطات توجد في مكتباتهم أو نقلوها معهم إلى تطوان عندما استقروا بها.

سأتحدث أولا عن مخطوطات مكتبة الجامع الأعظم التي صارت مكتبة المعهد الديني العالي، ثم عن مخطوطات المكتبة العامة بتطوان، ثم عن مخطوطات معهد مولاي الحسن للابحاث، ثم عن المكتبة الخاصة لباشا تطوان اليزيد بن صالح.

أولا : مخطوطات مكتبة المعهد الديني العالي

فأما مكتبة المعهد الديني العالي، فهي أقدم المكتبات العمومية بتطوان — كما تقدم — وكان يوجد بها نحو مائة مخطوط، وهي في الأصل مما حبسه السلاطين

والخواص على طلبة العلم، وأكثر هذه الكتب المخطوطة متعلق بالعلوم التي كانت تدرس آنذاك من تفسير وحديث وفقه وأصول وغيرها، ومن شأن ارتباطها بها أن لا تكون هذه المكتبة منفردة بنسخها، بل توجد نسخ منها في مكتبات أخرى بالمغرب، غير أنه مع ذلك توجد مخطوطات بها لها أهمية نوعية لندرتها أو قدم النسخة الموجودة بها أو انفرادها بالمخطوط في بعض الأحيان، أو جودة خطها وحسن تحقيقها، وقد ذكرت من قبل أسماء المخطوطات التي حبسها السلطان سيدي محمد بن عبد الله عليها، وأضيف إلى ما سبق ذكر مخطوطات أخرى، يبدو أن لها أهمية في عالم التراث، وهي :

1. كتاب التوضيح لابن الحاجب (3 مجلدات).
2. البدور السافرة في أمور الآخرة للسيوطي
3. منظومة ليحيى القرطبي في العبادات
4. نظم نظائر الرسالة لابن غازي
5. الدر النظيم في منافع القرآن العظيم للوادآشي
6. مطرفة النجوم لابي بكر حطاب بن يوسف في الفلك.
7. سنن المهتدين للمواق.
8. الفتوح القيومية في شرح الاجرومية لاحمد بن محمد التمبكتي.
9. الفتح الرباني فيما اقتطف من مسانيد الأيمة والامام الحطاب وابن أبي زيد القيرواني، للسلطان المولى محمد بن عبد الله.
10. اضاءة الدجنة في التوحيد لاحمد المقري.
11. طبق الارطاب فيما اقتطف من مسانيد الايمة والامام الحطاب للسلطان المولى محمد بن عبد الله.
12. تعليق على أرجوزة عقود الجمان في البلاغة للسيوطي.
13. فتح المتعال في مدح النعال للمقري.
14. المجالس السنية في الكلام على الأربعين النووية لاحمد الفيشي.
15. تفسير القرآن المسمى بالجواهر الحسان للثعالبي.
16. البيان والتحصيل لابن رشد.
17. شرح أسماء الله الحسنى لمحمد السنوسي
18. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع لابي قاسم الأنصاري السجلماسي.

19. العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة للثعالبي (مجلدان).
20. أجوبة ابن عباد.
21. شرح زروق على الوغليسية.
22. شرح على الأربعين النووية لعبد السلام الفزكاري.
23. الشيخ بهرام على المختصر.
24. ذخيرة المحتاج على صاحب اللواء والتاج
25. التوشيح في مشكلات الجامع الصحيح
26. مختصر ابن عرفة.
27. شرح ابن حجر على صحيح البخاري، نسخة حبسها السلطان المولى الرشيد العلوي.

ثانيا : مخطوطات المكتبة العامة والمحفوظات :

والمكتبة العامة والمحفوظات، هي أكبر مكتبة بتطوان، وقسم المخطوطات والوثائق من أهم أقسام هذه المكتبة، ولهذا يكثر زواره وطلاب البحث الذين يُهْرَعُونَ إليه لاعداد أبحاثهم ودراساتهم، وقد نمت أقسامها وما كانت تشتمل عليه من مخطوطات بفضل العناية التي وجهت إلى هذه الناحية، والتي كان من جملتها شراء مكتبات بكاملها، وكانت تكلف الحكومة آنذاك مبالغ طائلة، وكان من جملة ذلك أيضا صدور ظهير 1357 هـ ـ 1938م الذي أمر بالعناية بالكتب الخطية وفهرستها والاتصال بالخواص عن طريق لجنة علمية للاطلاع على المخطوطات التي بأيديهم مع عدم خروج تلك الكتب من ملك مشتريها، أو وارثيها من أسلافهم، وكذلك ظهير 1372 هـ ـ 1953م الخاص باعادة تنظيم مجلس رعاية الأبحاث والثقافة العليا بالمغرب، والذي نصت الفقرة د من مادته الأولى على ضرورة «تكنيش المخطوطات العربية الموجودة في المغرب والسعي لجمع أو شراء ما أمكن منها ومنع خروجها للخارج إلا بإذن خاص، وكذلك جمع ودرس كل ماأمكن من الوثائق التاريخية المتعلقة بالمغرب».

وبسبب هذه العناية الموجهة لاقتناء المخطوطات والوثائق والمحافظة عليها والرغبة في فهرستها وتنظيمها والاستفادة منها صارت المكتبة العامة ومكتبة معهد مولاي الحسن تقتني مخطوطات عربية أصلية أو مصورة في مختلف مجالات المعرفة الاسلامية

والعربية والمغربية، وصار بإمكان بعض الباحثين الاطلاع على مكتبة عدد من الخواص وفي مقدمها مكتبة الباشا ابن صالح.

وهكذا أخذت المكتبة العامة تقتني المخطوطات ويكفي للدلالة على هذا شراؤها 500 مخطوط مما كانت تضمه مكتبة الشيخ أحمد بن الصديق الغماري، وأن عدد المخطوطات التي صارت في حوزتها بلغت 950 مخطوطا، وأن الوثائق التي تتوفر عليها تعد بالآلاف ـــ كما سبق ذكره ـــ وقد اطلع الأستاذ عبد الله كنون على مخطوطات المكتبة، واسترعت انتباهه منها الكتب الآتية :(35)

1. كتاب قصص الأنبياء، لابي الحسن محمد بن عبد الله الكساني، كتب عام 882 هـ.

2. كتاب التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للحسن بن محمد بن الحسن الصنعاني ـــ مجلدات ستة.

3. حاشية عبد القادر البغدادي على شرح ابن هشام لقصيدة كعب بن زهير «بانت سعاد».

4. الجمع بين كتابي نزهة الناظر وبهجة الغصن الناضر، وشوارق الأنوار، وطوالع الأسرار، كلاهما للشيخ أحمد بن عبد القادر التاستاوتي ـــ مجلدان كتب بتاريخ 1149 هـ.

5. مجموع يشتمل على :

ـــ تأليف في بيع الصفقة للشيخ ميارة.

ـــ تقاييد في التوحيد.

ـــ شرح الخروبي على المشيشية.

ـــ نبذة في الأوليات، تأليف أبي بكر الرباطي المعروف ب خراط.

ـــ استنزال اللطف الموجود في أسر الوجود في ورقات.

ـــ تقييد غريب في شكل مقامة

ـــ تقاييد مختلفة.

ـــ لامية طويلة في الحكم والاداب.

---

(35) خل وبقل : 123 ـــ 124.

ـــ عمل من طب لمن حب لابي عبد الله المقري.
ـــ الحدود لابي الوليد الباجي.
ـــ مختصر نوازل ابن سهل.
ـــ كتاب للحكيم الترمذي في أصول الطريق والسلوك.
ـــ كتاب أزهار الخمائل في اختصار السير والشمائل.
ـــ شرح عبد الملك السجلماسي على رائية ابن ناصر في العبادات.
ـــ رسالة في العقائد والعبادات لمحمد بن عبد المنعم.
ـــ تأليف في الألفاظ الموهمة التي لا يصح إطلاقها على الله تعالى لابي علي السكوني.
ـــ مكنون الجواهر وتحصين المقيم والمسافر في الأدعية والأذكار.

6. رسالة في بيان ناسخ ومنسوخ القرآن لهبة الله البغدادي البصري، ألف عام 453 هـ.

7. الابرار في بري القلم وعمل الأحبار، مؤلفه غير معروف، وكتب بتاريخ 987 هـ.

8. كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك للسلطان أبي حمو موسى ابن زيان.

9. كتاب المبتدأ لمقاتل بن حيان.

10. كتاب في الفلاحة لحمدون الاشبيلي، اسمه البستان ونزهة الأذهان.

11. كتاب نعت الأحجار لارسطاليس، نقله إلى العربية محمد بن عبد الملك.

12. كتاب الأبيات المقصورة على الأبيات المقصورة، وهو شرح على مقصورة ابن دريد لعبد القادر الحسيني الطبري الشافعي ت. 1033هـ.

13. الفهرست لابن النديم، نسخة متقنة محققة.

14. مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين الحسيني الحلبي، اختصر فيه كتاب معجم البلدان لياقوت.

15. الأنيس النفيس المغني عن الجليس لابي القاسم الزياني.

16. مطالع الرقائق في تحرير الجوامع والفوارق، وهو كتاب في الفروق للزركشي.

17. كتاب في تعبير الرؤيا لابي طاهر الحنبلي، واسمه المعلم في تعبير الرؤيا على حروف المعجم.

18. مجموع به :
ـــ مناسك الشيخ خليل.
ـــ ورد الجيوب في الصلاة على الحبيب (المحبوب) لمحمد الرسموكي على نهج دلائل الخيرات.
ـــ كتاب الرصاع في موضوع الصلاة على النبي.
ـــ قرة العين في أوصاف الحرمين.
ـــ منسك الشيخ التاجوري
ـــ تقاييد.

19. مجموع يشتمل على :
ـــ شرح بحرق على لامية العجم
ـــ نظم فصيح ثعلب لابن المرحل
ـــ كتاب الوافي في نظم القوافي لابي الطيب الرندي
ـــ شرح ابن هشام لبانت سعاد.

20. مجموع يشتمل على :
ـــ المنافع البينة وما يصلح بالأربعة الأزمنة، وهو كتاب في الطب لابي عبد الله الصنهاجي، مكتوب بخط مغربي جميل، مؤرخ بعام 1004 هـ.
ـــ شرح زروق على الأسماء الدمياطية.
ـــ التيسير في صناعة التفسير للفقيه بكر بن ابراهيم الأشبيلي.
ـــ الصحبة وآدابها لابي العباس ابن عرضون.
ـــ شرح الأسماء الحسنى لزروق.
ـــ النصيحة، له
ـــ الحزب الكبير للشاذلي
ـــ شرح السنوسي لحديث «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء»
ـــ تفسير الفاتحة، له.
ـــ تقاييد.

21. ديوان المتنبي، نسخة مرتبة على حروف المعجم بمقدمة للاديب أبي جمعة المراكشي الماغوسي.

22. كتاب الرحمة في الطب والحكمة لجمال الدين محمد المهدي الصنوبري.

23. كتاب الكتيبة الكامنة لابن الخطيب.

ولقد أطلعني الفقيه الأستاذ محمد بوخبزة القيم على هذه المكتبة الآن، والذي له اطلاع على المخطوطات وخاصة الموجودة بهذه المكتبة والذي قرأ أكثرها وعرف خصائصها ومميزاتها، أقول: أطلعني على لائحة بأهم المخطوطات التي استرعت انتباهه، والتي ذكر فيها ميزة كل مخطوط عقب ذكر اسمه، وقد رأيت نقلها للقارىء لما في ذلك من الفائدة وذلك كما يأتي: «قائمة بأسماء المخطوطات التي يحسن اطلاع الباحثين والزائرين عليها».

اسم الكتـــاب	رقمـــه
1. تحرير المقالة في شرح الرسالة للقلشاني	15
2. نظم الدرر المنثورة للونشريسي بخطه	147
3. ألحان السواجع للصفدي (جيدة)	255
4. خفايا الزوايا للخفاجي، نقلت عن المؤلف	257
5. الأنيس النفيس للزياني، كتب في حياته	341
5. مقامات الحريري (نسخة مهمة)	348
7. مجموع رسائل الأمير المصري بخطه	404
8. تخميس طي البردة للسخاوي المدني بخطه	451/1
9. ترتيب ديوان المتنبي للماغوسي (مهمة)	524
10. مجموع العلميين الشفشاونيين	656
11. مختصر كتاب العين للزبيدي (عتيقة جدا)	642
12. نسخة أخرى منه عليها خط البياض	740
13. تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس ج 1	650
14. ذخيرة المحتاج للمعطي بن صالح، جزء منها	671
15. رقم الحلل في نظم الدول (جيدة)	686

16. الريحان في اعراب القرآن (عتيقة)	732
17. ج 3 من صحاح الجوهري (عتيقة)	138
18. مشارق الأنوار للصاغاني	357
19. ذكر فتح مصر (عتيقة) وهو جزء من الاكتفا	803
20. قطعة من مصحف غرناطة (على الرق)	830/ 2
21. شرح المرادي على الألفية، كتب في حياة المؤلف	884
22. أرجوزة ابن سينا في الطب، كتب عام 800 هـ	126
23. حاشية أبي ناجي على الرسالة، كتب عام 964 هـ	622
24. القصص لمحمد الكسائي	17
25. القول المبين لعدة الممسوخين	486/ 6
26. شرح العصنوني على التلمسانية والفرائض	844
27. شرح رسالة عمران الصابي ومعه : ـــ شرح في اثبات الغيبة ـــ شرح الفوائد في الفلسفة لاحمد زين الدين الأحشائي (امام فرقة الكشيفية أو الشيخية) والكتابان معا لكاظم الرشتي (زنديق امامي) بخطه.	124م
28. رسالة في المولد النبوي لحسن السقا بخطه	14م/456
29. الشفا لعياض نسخت عام 791هـ	246م
30. شرح بردة البوصيري ليوسف الحنفي بخطه	
31. نسخة ممتازة من مغنى اللبيب	356
32. عمدة الراوين في تاريخ تطاوين	676
33. حاشية الروداني على الموضح	670
34. مصورة مطمح الأنفس	456
35. بلوغ المقصود لابراهيم السقا	/ 10
36. فضل الليل في آداب الفروسية للوزاني الرباطي	434
37. كشف الغمة للكردودي	689

38. مجموع شرقي به كتاب في وصف الأحجار، نسخ بمدينة بروشة (تركيا) عام 836 هـ	891/ 6
39. كتاب الابرار في بري القلم وعمل الأحبار	160
40. كشف اللثام في أحكام السلام	442م

والمكتبة تحتوي على وثائق مخطوطة كثيرة، منها وثائق الحاج محمد بن العربي الطريس، وتتكون من عشرين ألف وثيقة، منها رسائل وظهائر سلطانية ورسائل صدرت عن السلطة المخزنية، ومحافظ للمراسلات الدبلوماسية، ووثائق عدلية ومخطوطات وكتب مخطوطة ومطبوعة وبعض الخرائط، ومنها وثائق قاضي شفشاون الفقيه الحسن بن محمد بن أحمد العلمي، وتتألف من خمسمائة وثيقة، معظمها مراسلات شخصية ووثائق عدلية، ومنها وثائق يبلغ تعدادها نحو المائة تتعلق بالمجاهد أحمد بن محمد الحزمري (اخريرو) الذي شارك في الحرب الريفية مشاركة بطولية [36].

وهناك وثائق أخرى يمكن الرجوع إليها بالاطلاع على المكتبة وفهارسها وزيارة هذا القسم منها.

وليس يخفى بعد هذا أن هذه المكتبة تحتوي على نفائس وذخائر أخرى كبيرة، يجد المهتمون بالتراث لذة ومتعة في الاطلاع عليها واكتشافها وعرضها وتحقيقها، ويمنعني من ذكر ما أختار منها وأستجيد خوف الطول، ولهذا أنتهي عند هذا الحد في الكلام على مخطوطات هذه المكتبة القيمة.

ثالثا : مخطوطات معهد مولاي الحسن :

وكنت ذكرت أن مكتبة معهد مولاي الحسن للابحاث جلبت مصورات مخطوطة من المكتبة الوطنية بمدريد ومكتبة الاسكوريال بها أيضا، وكان هذا العمل مفيدا للباحثين في وقت كان أكثر تلك المخطوطات لم يطبع بعد، وهذه لائحة بما يوجد منها في معهد مولاي الحسن :

---

(36) Historia de la accion cultural : 716-717

1. اعتاب الكتاب لابن الابار
2. ريحانة الكتاب لابن الخطيب.
3. شرح المقامات للشريشي.
4. شرح ديوان امرىء القيس المسمى بالتعليقة لابن النحاس.
5. اثبات واجب المود لملا يوسف.
6. دمعة الشاكي ولوعة الباكي للصفدي.
7. شرح تحفة الحكام لابي يحيى ابن عاصم
8. طيف الخيال في معرفة خيال الظل لابن دانيال
9. الشرح الصغير للخرشي على المختصر
10. شذور العقود في ذكر النقود للمقريزي.
11. شرح الرامزة في علمي العروض والقافية لناظمها ضياء الدين الخزرجي.
12. المحاورة الصلاحية لابن النديم
13. شرح التاودي على تحفة ابن عاصم
14. شرح على لامية الزقاق للتاودي ابن سودة
15. الاسطرلاب لابن البنا المراكشي
16. منهاج الطالب لتعديل الكواكب، له أيضا.
17. عمدة الصفوة في حل القهوة لعبد القادر الانصاري الجزيري.
18. الوسائل إلى معرفة الأوائل للسيوطي.
19. مخطوط مصور به مقامة للفتح بن خاقان ورسالة للوزير ابن جعفر وأخرى للوزير ابن أبي الخصال.
20. المنهج المبين في شرح الأربعين (النووية) لعمر الفاكهاني.
21. الدرر الحسان في الكلام على ليلة النصف من شعبان لابي العباس أحمد الفاسي.
22. شرح كافية ابن الحاجب، وهو لاحمد الهندي.
23. مجموع به رسائل وقصائد مختلفة لكتاب وشعراء الأندلس وهم الفتح بن خاقان وابن عبد الصمد والبستي وابن عمار وابن اللبانة وابن زيدون وابن حبيب ونظم صداف لابن علقمة ورحلة لابن جبير ونسخة بيعة.
24. الدر النثير على أجوبة أبي الحسن الصغير جمع ابراهيم التسولي.

25. عدة الحصن الحصين لابن الجزري.
26. كتاب جامع لفوائد في الطب والعلاج لابي الفضل إلعجلاني.
27. الجزء الثاني من الشرح الكبير على تلخيص ابن البنا لابي زكريا.
28. الحاشية على الكافية وشرحها للملاجامي، لعلي الشريف الجرجاني.
29. النفحة المسكية والتحفة المكية في العروض والمعاني للسيوطي
30. الديباج المذهب لابن فرحون.
31. نظم العقود ورقم الحلل والبرود، وهو ديوان أبي الربيع سليمان الموحدي.
32. نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد لاحمد الغزال.
33. اللعب بالرمح في معرفة الفروسية للمعلم أحمد ناصر الدين
34. شرح أبي الحباك على تلخيص أعمال الحساب لابن البنا
35. طيف الخيال للشريف الرضى
36. الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك.
37. كناسة الدكان لابن الخطيب.
38. الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، المعروفة بتاريخ أبو راس.
39. الغرة المخفية في شرح الدرة الالفية لابن معط، تأليف أبي العباس الموصلي، المعروف بابن الخباز.
40. الاعجاز والايجاز لابي منصور الثعالبي.
41. كفاية الأريب عن مشاورة الطبيب لابن الصائغ.

رابعا : مخطوطات مكتبة اليزيد بن صالح :

هذه المكتبة كانت تتألف من نحو ألف مخطوط، كان أكثرها في غمارة التي منها صاحب المكتبة باشا تطوان اليزيد بن صالح، وقد نقل بعض نفائسها إلى تطوان عندما تولى بها منصب الباشوية، وكان سلفه أهل علم وفضل، يرجعون بنسبهم إلى الولي الصالح ابراهيم بن صالح دفين قبيلة متيوة بالريف [37] وأصل بني صالح من الساقية الحمراء في الصحراء المغربية، ثم انتقلوا إلى شمال المغرب، ونزلوا بقبيلة بني يطفت قرب بادس، ثم رحلوا إلى بني رزين، من قبائل غمارة، حيث سكنوا مدشر

---

(37) نخل وبقل : 141.

أزاغر على بعد مراحل من الجبهة [38] وبالرغم من أن هذه المكتبة كانت خاصة، فإن صاحبها مكن بعض أهل العلم والفضل من الاطلاع على بعض محتوياتها، ومن هؤلاء الأستاذ المؤرخ محمد داود الذي اعتمد بعض مخطوطاتها وجعلها من مصادر كتابه الكبير تاريخ تطوان والأستاذ العلامة عبد الله كنون، الذي كتب عنها معرفا بها في كتابه «خل وبقل» وذكر أن من جملة ما كانت تضمه من النفائس كتاب «الذخيرة» لابن بسام، وقد سرق هذا الكتاب من المكتبة وبيع للمستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال، الذي حمل هذه النسخة المسروقة إلى مصر، وكانت من النسخ التي اعتمدت عندما طبع الكتاب هناك.

ثم ذكر الأستاذ كنون أن من الكتب التي اطلع عليها بهذه المكتبة، ووقع عليها اختياره لنفاستها الكتب الآتية : [39] :

1. سفر يضم عددا من المؤلفات منها :

ـــ ديوان الشاعر علي مصباح
ـــ رسائل الشاعر المذكور بخطه
ـــ شرح مختصر للامية العرب
ـــ شرح ابن مالك على قصيدته في المقصور والممدود.
ـــ تقييد لابن هشام اللخمي على أبيات ابن دريد في المقصور والممدود
ـــ نصيحة الهلالي
ـــ نظم ابن غازي لنظائر الرسالة.

2. ديوان الشعراء الستة : امرؤ القيس، وعلقمة والنابغة وزهير وعنترة وطرفة «ولاشك أن هذه النسخة قد مرت في أيدي كثير من العلماء المحققين، فهي لذلك مما يعتمد في تحقيق شعر هؤلاء الشعراء وضبطه».

3. الجزء السابع من كتاب النوادر لابن أبي زيد القيرواني.

4. شرح مقصورة ابن دريد لناظمها، وهي نسخة عتيقة في مجلد يرجع تاريخها لعام 706 هـ، وفي آخر الكتاب نظم فصيح ثعلب لمالك بن المرحل.

---

(38) سعيد أعراب «ظهائر سلطانية لحماية الشواطىء المغربية» دعوة الحق /العدد 268، ص 103.
(39) خل وبقل : 142 ـــ 146.

5. كتاب المقتضب في بيان اعتزال الزمخشري، وهو بخط مشرقي، كان في ملك سليمان الحوات، ثم ملكه الطيب بن الطيب بن صالح، من سلف صاحب المكتبة.

6. مجموع يضم :

ـــ رحلة البلوي، بخط مغربي، كتبت عام 814 هـ.

ـــ ديوان الحماسة، مرتبا على حروف المعجم، كان في ملك الشاعر المغربي ابن الونان.

ـــ طرف من كتاب أنس السهير في نوازل الفرزدق وجرير، لمؤلفه الشاعر المغربي علي مصباح الزرويلي.

ـــ حاشية صغيرة على ديوان المتنبي.

7. مجموع يضم :

ـــ شرح زروق على المباحث الأصلية

ـــ المقصد الشريف في ذكر صلحاء الريف

ـــ كتاب المغزى في مناقب أبي يعزى

8. كتاب الروض الأنف للامام السهيلي، كتب عام 974 هـ.

9. كتاب الأغاني لابي الفرج الأصبهاني، نسخة بخط موسى بن هانئ المالكي كتبت عام 978 هـ.

10. الجزء السابع من كتاب البيان والتحصيل لابن رشد، تاريخ هذا الجزء عام 1199هـ.

11. كتاب زهر الأكم في الأمثال والحكم، لابي علي اليوسي، نسخة مضبوطة في غاية الصحة بخط الشاعر علي مصباح المذكور، وتاريخ النسخة عام 1122هـ.

12. مجموع يشتمل على ما يلي :

ـــ كتاب الكنايات والأمثال للقاضي أبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني.

ـــ شرح الماغوسي المراكشي على لامية العرب، واسم الكتاب : «اتحاف ذوي الارب بمقاصد لامية العرب».

ـــ منظومة رجزية في علم المنطق للقاضي محمد بن الطاهر الهواري الفاسي.

13. شرح ابن السيد البطليوسي على ديوان سقط الزند للمعري مرتبا على الحروف بخط أندلسي، تاريخه عام 569 هـ.

14. ديوان ابن الخياط الدمشقي في مجلد وسط تنقصه بعض الأوراق في أوله، بخط مشرقي.

15. ديوان الشهاب التلعفري بخط مشرقي جميل.

الجوائز الأدبية

كان من مظاهر العناية بالآداب والثقافة والاهتمام بحفز الهمم على الاجادة فيها استحداث جوائز أدبية وأعياد الكتاب وإقامة معارض أدبية متنوعة بهدف الاشادة بالعلم وابراز أهمية الكتاب كوسيلة من وسائل نشر العلم والثقافة، والجوائز التي كانت ترصد للابحاث والأدب ثلاثة :

أولا : جوائز معهد مولاي الحسن :

كانت الجائزة الأولى التي وضعت لهذا الغرض هي التي كان يمنحها معهد مولاي الحسن للابحاث والتي نص عليها ظهير 27 ذي القعدة 1355 هـ — 8 فبراير 1937م، ومن شروط نيل هذه الجائزة كما نص على ذلك الظهير المذكور أن يكون العمل الأدبي المرشح للفوز بها مكتوبا بالعربية وأن لا يكون طبع من قبل، وكان المبلغ النقدي للجائزة يصل إلى عشرة آلاف بسيطة، وكان موعد تقديمها للمرشحين يقترن بعيد الجلوس الخليفي (8 نوفمبر) من كل سنة.

ويرجع تاريخ أول مسابقة نظمها المعهد المذكور إلى عام 1947 وكانت تدور حول الكتابة، عن موضوع من هذه المواضيع :

1. الرياضي المغربي أبو العباس أحمد الازدي ابن البناء المراكشي.
2. لسان الدين ابن الخطيب وأعماله.
3. الآداب والعلوم والفنون على عهد الموحدين.

وتألفت لجنة المسابقة من السادة العلماء والباحثين الآتية أسماؤهم : محمد بن موسى : وزير الأحباس، ومحمد المرير رئيس محكمة الاستئناف العليا الشرعية، والتهامي

الوزاني شيخ المعهد الديني بتطوان، ومحمد عزيمان مفتش التعليم الثانوي، وعبد الله كنون مدير معهد مولاي الحسن، والبروفسور ماريانو أرياس بلاو Mariano Palau المدير المساعد بنفس المعهد.

وكانت الجائزة من نصيب الاستاذين محمد التطواني السلوي الذي كتب عن لسان الدين ابن الخطيب من خلال كتبه، وعبد العزيز بن عبد الله الذي كتب عن الفلسفة الخلقية لابن الخطيب.

وخصص المعهد المذكور جائزته لعام 1950م لواحد من المواضيع الآتية :

1. القاضي عياض، عصره، وحياته، وتأثيره.
2. تطوان من النواحي التاريخية والعلمية والاجتماعية.
3. تاريخ الزاوية الدلائية من الناحيتين السياسية والعلمية.

لكن هذه الجائزة لم تمنح لأحد من الكتاب وذلك لانه لم يترشح لها أي واحد منهم. وخصص المعهد جائزته لعام 1951م وهي الجائزة الثالثة للمواضيع الآتية :

1. ابن الابار، عصره، وحياته، وتأثيره.
2. سبتة من النواحي التاريخية والعلمية والاجتماعية.
3. العلوم والآداب والفنون على عهد المرينيين.

وكانت لجنة هاتين المسابقتين الأخيرتين تتكون من نفس أعضاء اللجنة الأولى حسبما تقدم. وقد نال جائزة هذه المسابقة أستاذ مصري، وهو الدكتور عبد العزيز عبد المجيد أستاذ العربية بجامعة منشيستر، الذي كتب عن ابن الابار ومؤلفاته وعصره.

وخصص المعهد جائزته لعام 1952م، وهي الجائزة الرابعة للمواضيع الآتية :

1. تاريخ المغرب على عهد الوطاسيين.
2. الشريف الادريسي، حياته، ومؤلفاته وتأثيره.
3. تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى.

وكانت لجنة المسابقة تتألف من الشخصيات المذكورة من قبل، ونال جائزة هذه المسابقة السيد محمد عبد الرحيم غنيمة من القاهرة.

وخصص المعهد جائزته لعام 1953م وهي الجائزة الخامسة للمواضيع الآتية :

1. أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني.
2. تاريخ تطوان.
3. الأدب العربي بالمغرب.

وتألفت اللجنة ممن ذكر من الشخصيات سابقا، ومنحت الجائزة للاستاذ محمد بن أحمد داود عن كتابه «مختصر تاريخ تطوان».

وخصص المعهد جائزة عام 1954م للمواضيع الآتية :

1. ابن خلدون، حياته ومؤلفاته.
2. تاريخ الأغالبة في افريقيا والمغرب.
3. الموشحات والوشاحون في الغرب والشرق الاسلاميين.

ولم يتقدم أحد لنيل هذه الجائزة، وخصصت جائزة 1955، للمواضيع الآتية :

1. القاضي عياض، حياته، ومؤلفاته.
2. العلوم والآداب والفنون على عهد المرينيين.
3. تاريخ مدينة قرطبة.

ولم يتقدم أحد كذلك لنيل هذه الجائزة.

وكان المعهد تابع مع ذلك محاولة تشجيع النشاط الأدبي بالدعوة إلى جائزته لعام 1956م وكانت تدور حول المواضيع الآتية :

1. ادريس الثاني
2. مدخل إلى تاريخ المذهب المالكي وتطوره بالأندلس والمغرب.
3. الأدب الأندلسي على عهد ملوك الطوائف.

ولم يتقدم أحد لنيل هذه الجائزة فيما أعلم وكان المبلغ النقدي المخصص هو عشرة آلاف بسيطة اسبانية كما تقدم، ومن شروط المسابقة حسب الظهير المنظم لها والمؤرخ ب (27 ذي القعدة 1355 هـ ـــ 8 فبراير 1937م) أن يكون العمل الأدبي المرشح باللسان العربي وأن يكون أصليا، وأن لا يكون طبع من قبل، وكان

موعد تقديمها للمرشحين يقترن بذكرى عيد جلوس الخليفة السلطاني (8 نوفمبر) على كرسي خلافته.

ثانيا : جائزة معهد الجنرال فرانكو :

ومنذ عام 1948م شرع معهد الجنرال فرانكو في الدعوة للاشتراك في مسابقات لكتابة دراسات أدبية وعلمية وتاريخية، كانت تخصص لها جائزة تصل إلى عشرة آلاف بسيطة، وكان الموضوع المقترح لعام 1949م عن مغرب ما قبل التاريخ وقد حصل على هذه الجائزة باحثان من جامعة برشلونة هم لويس غرسيا ومرتين باش. والموضوع المقترح لعام 1950م عن «الفترات الأولى من التاريخ المغربي، الفينيقيون والقرطاجنيون والأساطير القديمة عن الشمال الافريقي. والموضوع المقترح لعام 1951م عن «روما وموريطانيا الغربية...» والموضوع المقترح لعام 1952م عن «الفتح العربي والأدارسة والمرابطين». والموضوع المقترح لعام 1954 عن المرابطين، وقد نال هذه الجائزة أمبروسيو ميرافدا، والموضوع المقترح لعام 1953 عن المرينيين، والموضوع المقترح لعام 1956 م عن الوطاسيين والسعديين.

ثالثا : جائزة «مرويكوس» والمغرب للآداب :

وأراد المشرفون على شؤون التربية والثقافة احداث جوائز تشجيعية جديدة للانتاج الأدبي القصير، متمثلا في المقالة والقصة والشعر، فأعلنوا عن أربع جوائز أخرى باسم «جوائز مرويكوس والمغرب للآداب» تمنح للمغاربة والاسبان المقيمين بالمغرب، بحيث ينال جائزتي مرويكوس اسبانيان وينال جائزتي المغرب مغربيان، وقد نظمت هذه الجوائز بمقتضى ظهير 3 شعبان 1372 هـ ـــ 18 أبريل 1953م، وكانت لغة الجوائز هي الاسبانية والعربية.

وقد وقع الشروع في نفس السنة 1953م في الاعلان عن الجائزة، فكانت جائزة المغرب عن الشعر من نصيب الأستاذ ابراهيم الالغي وجائزة المغرب عن النثر من نصيب الأستاذ أحمد بن عبد السلام البقالي، ونال جائزتي مرويكوس كل من الآنستين الاسبانيتين Tirina Mircader و Dora Bocaicoa وكانت جوائز عام 1954 م من نصيب آمنة اللوه عن النثر، ولم يظفر بجائزة الشعر العربي أحد، ونال جائزتي

مرويكوس عن الشعر والنثر Pio Gomez وكانت جوائز المغرب للآداب عام 1955م من نصيب محمد الطنجاوي عن الشعر وأحمد بن عبد السلام البقالي عن النثر، ونال جائزتي مرويكوس عن الشعر والنثر Miguel Fernandez وكانت قيمة كل جائزة تصل إلى ألفي بسيطة، وقام معهد مولاي الحسن بطبع الانتاج الأدبي الذي نال تلك الجوائز، وهو جيد، يدل على مواهب فنية قادرة على الابداع والعطاء، ويدل الانتاج العربي فيها خاصة على تطور في الأداء الفني حيث نرى القصة القصيرة، عند أدبائنا صارت وسيلة من وسائل تصوير المجتمع وقضاياه وأحواله الزمنية والتاريخية كما يبدو هذا من خلال قصة أحمد البقالي «المسعورة» التي نالت جائزة عام 1953م وقصته «رواد المجهول» التي نالت جائزة عام 1955م وكذلك الشأن بالنسبة لتواشيح الأستاذ الالغي التي تغنى فيها بجمال تطوان ومُنتَزهاتها وهو وصف يمتاز بكثير من الابداع وبغنائية بارعة أصيلة عذبة وبروح ملاحظة، متميزة بهدوءكبير وطمأنينة عميقة، وقدرة على التقاط الصور الذهنية وتسجيلها، وكذلك الشأن بالنسبة لقصة الأستاذة أمينة اللوه «الأميرة المغربية خناثة بنت بكار»، وشعر الأستاذ محمد الطنجاوي عن فتيان قرية بني معدان.

أعياد الكتاب والمعارض

وأقام المشرفون على شؤون الثقافة والتعليم عيدا للكتاب، يقام فيه معرض سنوي، ويكون مناسبة لاحتفالات ثقافية متنوعة، تتوجه فيها الأنظار إلى معرفة التراث وعرضه ودراسته، وحث الهمم للاقبال على الدرس والتعليم، وقد نظم الاحتفال بالأعياد المذكورة بظهير 15 محرم 1359هـ ــ 24 فبراير 1940م الذي غيرت بعض مقتضياته بظهير 25 ربيع الأول 1360 هـ ــ 23 أبريل 1941م وينص الفصل الثاني منه على اقامة عيد سنوي للكتاب بتطوان، وينظم فيه معرض عربي اسباني تحت اشراف المكتبة العامة للمدينة.

وقد جرى أول احتفال بعيد الكتاب عام 1940م في قسم الصحف والمجلات التابع للمكتبة العامة (شارع محمد الطريس، رقم 7) وتم فيه عرض نحو مائتي نسخة من المصادر والمراجع العلمية وعدد من أقدم الصحف التي صدرت بالمغرب، وقد أسهم في اقامة المعرض المذكور معهد الجنرال فرانكو للأبحاث، والمكتبة

العامة بتطوان ونيابة الشؤون الوطنية والبعثة الكاثوليكية بطنجة وقسم الصحف والمجلات التابع للحماية، واللجنة التاريخية للحملات الحربية بالمغرب، وغرسيا فيغراس، وانريكي أركيس، والجمعية التاريخية لشريش ومجلة موريطانيا، ومكتبة الكراس، ومكتبة مرتينس، واللجنة الاقتصادية المركزية، ونيابة الأملاك بتطوان والسيد عبد الخالق الطريس وآخرون.

وفي عام 1941م واحتفاء بالعيد المذكور أقيم معرض للمخطوطات العربية بمقر المكتبة العامة، ساهمت فيه بنصيب وافر مكتبة مدريد الوطنية ومكتبة الاسكوريال.

وفي عام 1942م جرى احتفال آخر بنفس المكان، أقيم فيه معرض للصور والرسوم الخرائطية من محتويات المكتبة العامة.

ويظهر أنه كانت هناك جائزة خاصة بهذا العيد، تمنح لمن يكتب مقالا حول موضوع ثقافي مقترح، كما يدل على ذلك هذا الاعلان الذي نشرته نيابة التربية والثقافة بتطوان (40) :

«عيد الكتاب الاسباني المغربي لسنة 1948»

بمناسبة هذا العيد المنشأ والمضبوط بظهيري 4 فبراير من سنة 1940 و 23 أبريل 1941 وجريا على روح ذلك المرسومين والخطط المتبعة في السنوات السابقة تفتتح مبارة لمكافأة أحسن مقال يكتب بالعربية أو الاسبانية حول الموضوع الآتي :

(المطبعة الاسبانية المغربية في شمال المغرب معلومات لوضع تاريخها).

ويجب أن يحتوي المقال على الاقل 50 صفحة من حجم الربع مكتوبة على جهة واحدة وعلى مسافتين بين الأسطر، والمقالات التي تقدم مخطوطة يجب أن تكون واضحة الخط ذات اتساع مساو لاتساع المكتوبة على الآلة الكاتبة وينتهي أجل قبول المقالات نهار10 أبريل المقبل على الساعة 14.

---

(40) عن مجلة المعرفة، العدد 7 ص 18.

ان المقالات يجب أن تقدم إلى نيابة التربية والثقافة مكتوبة عليها الاشارة الآتية : «مسابقة عيد الكتاب الاسباني العربي» وتدفع دون ذكر اسم المؤلف مع علامة توضح ضمن غلاف مختوم يرفق بالمقال ويذكر في داخله اسم صاحب المقال وعنوانه.

فالمقال الذي تحكم بأفضليته اللجنة التي ستعين في الوقت المناسب يكافأ بجائزة قدرها 500 بسيطة تسلم للكاتب في حفلة عمومية.

تطوان في 28 يناير سنة 1948

نائب التربية والثقافة ـــ طوماس غرراس فيغيراس»

وفي عام 1949م أقيم احتفال بمناسبة عيد الكتاب كانت مدينة العرائش مركزا له، ساهمت في اقامته المكتبات ومديرية الوثائق.

وفي عام 1950 احتفل في تطوان بمناسبة العيد المذكور بمعرض للكتاب المدرسي.

وفي عام 1951م أقيم معرض للمخطوطات والوثائق العربية، شاركت فيه المكتبة العامة وجامعة غرناطة ومدرسة الدراسات العربية بهذه الجامعة، ووزارة الأحباس، وعدد من الخواص.

وفي عام 1952م احتفل بالمناسبة بإقامة معرض في مقر المكتبة العامة، اشتمل ما يأتي :

ـــ كتب التعليم الثانوي التي طبعت بمصر

ـــ كتب التعليم الثانوي التي طبعت بلبنان

ـــ الخرائط القديمة لقارة افريقيا.

ـــ وثائق عربية واسبانية في ملك أرشيف تطوان التاريخي.

ـــ مخطوطات عربية في ملك المكتبة العامة بتطوان، وصور فتوغرافية لمخطوطات توجد بمكتبة الاسكوريال، والصور المذكورة مستعارة من خزانة معهد مولاي الحسن.

ـــ الكتب المدرسية التي طبعت بالمنطقة الخليفية، والمطبوعات الجديدة لمعهد مولاي الحسن.

ـــ مختارات من مطبوعات معهد الدراسات الافريقية بمدريد.
ـــ المطبوعات الحديثة لمعهد الجنرال فرانكو والكتب العصرية الاسبانية التي تعالج مواضيع اسلامية وافريقية.
ـــ كتب عربية عصرية للتعليم الجامعي والبحث العلمي.
ـــ صور وخرائط افريقيا ساهمت بها المصلحة الجغرافية للجيش، وجهاز لقراءة الميكروفيلمات من ممتلكات أرشيف الصور بتطوان (41).

واشتمل معرض عام 1953م المخصص للصحافة على أنواع من الصحف حسبما يأتي :

ـــ صحافة عربية مما ساهم به الأستاذ محمد داود.
ـــ صحافة عربية مما ساهم به الأستاذ محمد الجحرة
ـــ صحافة عربية في ملك قسم الصحف التابع للحماية
ـــ صحافة سبتة
ـــ صحافة طنجة.
ـــ صحافة العرائش والقصر الكبير والحسيمه.
ـــ صحافة مليلية
ـــ صحافة تطوان
ـــ صحافة الوحدات العسكرية بالمغرب
ـــ صحافة مخطوطة مدرسية
ـــ مجلدات مختلف الصحف مما ساهم به انريكي أركيس.

واشتمل معرض عام 1954م على صور تاريخية مختلفة وتراجم الشخصيات العلمية، ساهمت فيه شخصيات ومؤسسات ثقافية.

وخصص معرض عام 1955م لانواع نشاط مكتب توزيع وتبادل المنشورات.

ولقد كان الاحتفال بعيد الكتاب مناسبة كبيرة تعلق فيه المنشورات التي تشيد بهذه الظاهرة، ويتبارى الشعراء والكتاب في الكتابة والنظم في مواضيع تتعلق بالكتاب وفضله في نشر العلم والثقافة وتقدم المجتمع. كما كان يخرج لزيارة المعارض

(41) Historia de la accion cultural : 705-706

المذكورة ومشاهدتها كبار رجال السلطة والمسؤولون عن الادارات والمثقفون وكل من له اهتمام بشؤون التربية والتعليم، ولعل من القصائد التي كانت من وحي احدى هذه المناسبات قصيدة للاستاذ السيد عبد الله كنون، خصصها للكتب والمكتبات وأثر العلم في تقدم المجتمعات وهي بعنوان : «المكتبة» وهذا نصها (42).

اخلع النعل واخفض الطرف وامثل ... بخشوع كراهب عند هيكل
ها هنا معبد عكوفك ساعة ... فيه خير من نسك عمر وأفضل
مهبط الوحي فالملائك والر ... وح حواليه كل حين تنزل
تتجلى عرائس الفكر فيه ... تصبي من كان بالفكر يحفل
مجمع المفكرين والشعراء الـ ... ـلسن والمصلحين من عهد أول
يتبارون فيه كل بليلا ... ه على مسرح الهوى يتغزل
عالم راقع وان كان غيبا ... رب غيب من واقع كان أمثل
اللآلي والعصور فيه تلاقى ... مجمل في أمورها ومفصل
والرؤى والطيوف تهفو عليه ... حوما كالطيور للوكر تعجل
والمعاني والشعر والسحر فيه ... والأماني أمام عينك مثل

الجمعية والنادي ومجالس العلم والثقافة الخاصة

من مظاهر النشاط الثقافي بتطوان خلال هذه الفترةوجود نشاط تمارسه جمعية ثقافية، وتشرف عليه مجموعة من الوطنيين المثقفين، ويهدف إلى بعث الوعي والنهضة الثقافية بين الأوساط الطلابية والمتعلمة، ويرجع تاريخ هذا إلى عام 1932 عندما أسس الأستاذ عبد الخالق الطريس «جمعية الطالب المغربية» التي مهدت لظهور حزب الاصلاح الوطني، وقد وضعت الهيأة التي ساهمت في التأسيس قانونا للجمعية الذي نص فصله الثالث من الباب الأول على الأهداف التي رسمتها لنفسها، وهي :

«أ. الدفاع عن حقوق الطالب

ب. ارشاده أثناء الدراسة

ج. تهيئته للعمل عند الانتهاء من حياة الدراسة بشكل يتناسب مع ما تسنه الحكومة.

---

(42) مجلة الأنوار، 6 مايو 1946م.

د. ايجاد رابطة قوية بين طلبة المدارس على اختلاف أنواعها ومتخرجي هذه المدارس.

هـ. انشاء ناد للتسامر ومكتبة للاطلاع والاستعانة في البحوث.

و توسيع ثقافة الطالب وتنوير ذهنه».

وقد مرت الجمعية بمراحل، وكانت أهم مرحلة وأكثرها أهمية هي الواقعة ما بين سنة التأسيس إلى عام 1939 عندما أخذت السلطات الاستعمارية تراقبها وتضيق الخناق على الوطنيين عموما والمسؤولين عنها خصوصا، وأخذ نشاطها لذلك يقل ويضعف حتى أصيب بالشلل منذ عام 1948 في أعقاب حوادث تطوان عندما هاجمت قوات الشرطة مركزها الكائن بباب الرموز وأتلفوا محتوياته من الفراش والمطبوعات والوثائق وغيرها، وعلى الرغم من أن الجمعية عادت للعمل ابتداء من عام 1952 بعد الانفراج المغربي الاسباني، فإنها لم تبق تلك الجمعية القوية الناهضة التي كانت في الاربعينات.

وكانت جمعية الطالب تنظم للعموم محاضرات ولقاءات ثقافية ومهرجانات أدبية في مختلف المناسبات، وكان مجلسها الاداري الذي كان يسيرها بعدما تم تأسيسها يتكون من هذه الشخصيات : عبد الخالق الطريس (رئيسا) والتهامي الوزاني (وكيلا) ومحمد الناصر (أمينا) ومحمد باغوز (كاتبا عاما) وعبد السلام بن عجيبة (كاتبا مساعدا) وعبد السلام الحاج، ومحمد اعيار، ومحمد بن اللبار، ومحمد الدليرو (أعضاء) [43].

وقد كتبت عنها مجلة المغرب الجديد تقول : «جمعية الطالب المغربية هي الهيئة الأدبية الوحيدة التي تقوم في شمال المغرب بنشر الثقافة بين المواطنين، وتحبيب المعرفة إليهم بمختلف الوسائل من محاضرات واحتفالات، عامة وخاصة، والحق أن تاريخها في الميدان الثقافي تاريخ مجيد [44]».

ومن الأعمال الأدبية للجمعية :

ــ تنظيم محاضرة ألقاها الأستاذ الطريس عن دولة الموحدين [45].

---

(43) مجلة السلام، الجزء الأول، قسم الصور.

(44) مجلة المغرب الجديد، العددان 9 ــ 10 ص 131.

(45) أب الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة 3 : 341.

ــ إقامة حفل لتأبين الشاعر أحمد شوقي

ــ تنظيم محاضرة للاستاذ التهامي الوزاني بعنوان «الاحسان في مجتمعنا».

ــ الدعوة للاحتفال بالذكرى الذهبية لزيارة السلطان المولى الحسن الأول لتطوان كرد فعل على احتفال الاسبان بالمدينة بذكرى «الاركون» (46).

ــ الاحتفال بذكرى أبي الطيب المتنبي (47).

وكثيرا ما كانت السلطة الاسبانية تتدخل لمنع بعض أنواع النشاط الفكري والوطني للجمعية، ومن أمثلة ذلك منعها من الاحتفال بذكرى دخول السلطان المولى الحسن الأول، وقد واجه المسؤولون عن الجمعية ذلك بإقامة الاحتفال سرا بدار الفقيه الصفار، ولم تتمكن السلطة الاسبانية من تطبيق قرار المنع.

ومن أمثلة ذلك أيضا منعها محاضرة كان سيلقيها الأستاذ عبد السلام بن جلون بنادي الجمعية، وقد وجه المراقب المحلي رسالة إلى الجمعية يحتج فيها لقرار المنع بأمرين :

1. إنه يجب تقديم طلب بإلقاء أية محاضرة قبل أربعة وعشرين ساعة، وأن الطلب لم يصل للمراقبة إلا يوم الإلقاء.

2. أن الجمعية لم توجه نص ملخص المحاضرة إلى المراقب سونيير ليتخذ بشأنها قرارا.

وكان جواب الجمعية :

1. أنها أشعرت السلطة بالمحاضرة بواسطة رسالة وجهت للباشا.

2. أن الجمعية نظمت محاضرات من قبل، ولم تدفع ملخص المحاضرات إلا مرتين «في العهود المظلمة».

وقد تحدثت جريدة الحياة عن هذه المسألة وذكرت السلطة الاسبانية بمحاضرة الحسين بن عبد الوهاب بتاريخ 2 رجب 1353 ومحاضرة باغوز قبلها، ومحاضرات

(46) الوثائق الوطنية، العدد 2 ص 22.

(47) مجلة المغرب الجديد العددان 9 ــ 10 ص 131 ــ 132.

الأساتذة الطريس وبنونة والطنجي التي لم تخضع فيها الجمعية بقرار توجيه ملخص السلطة (48).

وظلت «جمعية الطالب المغربية» هي المؤسسة الثقافية الوحيدة المرخص لها رسميا بمزاولة نشاطها إلى عام 1356 ــ 1937 عندما أسس الشيخ محمد المكي الناصري نادي الوحدة المغربية، ويبدو أن الشيخ الناصري الذي كان من قبل من المتحمسين لجمعية الطالب المغربية والمشجعين لها وساهم في نشاطها بمحاضرات وكلمات لاحظ أن الجمعية صار لها ارتباط وثيق بحزب الاصلاح الوطني، فقرر تأسيس النادي المذكور ليكون مركزا ثقافيا تابعا لحزب الوحدة المغربية الذي كان يرأسه، وهو مع هذا يقول في حفلة تدشين النادي انه : «ناد ثقافي صرف، وانه ليس بحزب سياسي، بل هو بعيد عن التحزب كل البعد، وانما هو مركز للاخوة الاسلامية والعمل على تعميق الشعور بالوحدة المغربية في نفوس المسلمين المغاربة واعدادهم للسعي في سبيل تحقيقها من جديد، كما أنه مركز للثقافة والتهذيب والتربية القومية الصحيحة...» (49).

وقد نظم هذا النادي عدة لقاءات ثقافية كان من أبرزها :

ــ حفل تأبين الكاتب المصري محمد صادق الرافعي.

ــ محاضرة للشيخ المكي حول «اعجاز القرآن» (50).

ــ تأبين الشاعر العالم والوطني المغربي الشهيد محمد القري (ت. 1356) (51).

ــ تكريم الاستاذين ابراهيم الالغي والشاعر الجزائري أبي مدين الشافعي (52).

ــ حفل تكريم وفد من الصحراء المغربية، كان من بين أعضائه الشيخ الحاج محمد بن الشيخ ماء العينين سيدي مربيه ربه، والشيخ ماء العينين ابن العتيق والشيخ ماء العينين يحجب بن خطر، وفي الحفلتين تبادل الحاضرون مع الوفد المذكور كلمات الترحيب والود وأحاديث علمية في التفسير والحديث والأصول، كما تبادلوا

---

(48) جريدة الحياة، العدد 35 عام 1353 ــ 1934م، ص 2.

(49) جريدة الوحدة، عدد 28، ص 1.

(50) جريدة الوحدة المغربية، العدد 30 ص 5 و8.

(51) نفس الجريدة، العدد 52.

(52) نفس الجريدة، العدد 57.

انشاء أشعار قيلت على البديهة، ومنها قول الشيخ ماء العينين بن العتيق مادحا الشيخ المكي :

سلام على شيخ الأساتذة المكي	بنير به ليل اليراعة والفلك
لهذا، لقد جاد الزمان بنفحة	آدابك الحسناء أذكى من المسك
ليهنيك ما تتلو من الخطب التي	أبانت لنا حسن الجزالة والسبك [53]

ـــ تأبين العلامة ابن القرشي [54]

وإلى جانب العمل الثقافي والأدبي لهاتين المؤسستين الكبيرتين، جمعية الطالب المغربية ونادي الوحدة المغربية كانت هناك مجالس خاصة للعلم والأدب والتعليم والنزهة، ومن بينها مجلس الفقيه محمد بن الابار (ت 1337 هـ 1918م) وكان يعقد كل يوم أربعاء بعد صلاة العشاء، بحيث كان الحاضرون يسردون صحيح البخاري بشرح القسطلاني، وكان المجلس يتألف من السادة الفقيه المذكور والفقيه محمد المؤذن وأحمد الغنيمة وأحمد غيلان والفقيه أحمد الصفار والفقيه محمد المرير، وكان عشاء الحاضرين في المجلس الكسكس بالدجاج، وقد صار هذا المجلس يعقد منذ عام 1335 بعد صلاة العصر من كل يوم خميس، وقد وصف الفقيه المرير المنهج العلمي لهذا المجلس فقال : «كنا في الحقيقة نجعل شرح القسطلاني هو المتن ونسرده كله حرفا حرفا، ونتبع أبحاثه بكل تحقيق وتدقيق ومناضلة حتى لا يشذ عن فهمنا شيء...» [55].

مجلس مجموعة عصبة الفكر، التي انتظمت في شكل جمعية ثقافية خاصة، كانت من اقتراح الأستاذ عبد الخالق الطريس، وكان أعضاء المجموعة يتدارسون فيما بينهم قضايا أدبية وفلسفية وتاريخية [56] ومن مظاهر نشاطها الفكري أنها نظمت مناظرة في المفاضلة بين عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين والمهدي بن تومرت زعيم دولة الموحدين، وقام بتفضيل ابن ياسين الأستاذان الطريس والطيب بنونة، وانتصر للمهدي بن تومرت الأستاذان التهامي

(53) نفس الجريدة، العدد 72 ص 8 والعدد 83 ص 7.

(54) نفس الجريدة، العدد 87.

(55) فهرسة النعيم المقيم، الجزء 2 ص 91 ــ 92.

(56) الأستاذ ابن الابار : 18.

الوزاني والحاج محمد بنونة وقام بعملية التحكيم الأستاذ محمد الطنجي الذي نشر نص كلمته في مجلة «الارشاد الديني» (57).

وورد في قصيدة «الجناح الأخضر» للشاعر الوزير محمد بن موسى مايدل على أن فقهاء تطوان كانوا يعقدون فيما بينهم حلقات للمذاكرة العلمية والمناظرة الفقهية، وخاصة في مجالس النزهة التي كانت تجمعهم ببعض منتزهات المدينة، مثل منتزه الجناح الأخضر، الواقع أسفل جبل غرغيز، أمام مدينة تطوان، وهو كثير الأشجار والمياه، وجميل المناظر، تسرح بين أيكه الطيور المغردة والجداول المتدفقة، وقد وصف الشاعر بأناقة ودقة وشاعرية فياضة طبيعة المكان الغناء، وانتهى للحديث عن مجلس للفقهاء انعقد به ذات يوم ومادار فيه من نقاش وجدال، كاد يفضي للخصام، لولا أن عميد القوم وكبيرهم، تدخل في الموضوع فبين وجه المسألة ، واستمال الحاضرين لترك اللجاج والخصام، وحثهم على طلب الحق والتحلي بخصال أهل العلم والفضل ونشر بذلك ألوية السلام بينهم، وردهم للوفاق وخلق الانصاف والاخاء (58).

---

(57) مجلة الارشاد الديني، الجزء الرابع، ص 5 — 11.

(58) انظر القصيدة في مجلة النصر، العدد الأول، ص 2 — 4.